بين الأصالة والحداثة

« نقدٌ ومختارات »



أحمد فرح عقيلان

مطبوعات نادي الطائف الأدبي الطبعة الأولى عام ١٤٠٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم



أحمد الله وأصلّي على رسوله ، وأهدي هذه الورقات إلى كلّ عشاق الأدب العربيّ الأصيل ، والفكر الإسلامي النبيل . وكلُّ هدفي من كتابتها هو أن أوضح أن في أدبنا وبلاغتنا من كنوز الجمال ما يغنينا عن صغار التقليد الأعمى ، ومنزلة الاستجداء الرخيص .

هذا وقد اكثرت فيها من النماذج الطريفة وحمّلتها بروائع من الأشعار اللطيفة لعلمي أن عشاق الشعر قد برّح بهم الشوق إلى البلاغة الممتعة والفصاحة الخصبة الممرعة بعد أن خاب أملهم في وعود شعراء الحداثة ولم يروا منهم بعد رحلة الانتظار الطويل إلا سراباً يحسبه الظمآن ماءً .

منذ مّدة طويلة وإخواننا أهل الحداثة يقولون إن شعر الحداثة لا يزال ناشئاً ، وإذا كان الناس لم يتذوقوه بعد ، فذلك لأنه جديد والناس أعداء ما جهلوا وكنا معهم نتطلّع أن يتكّيف شعر الحداثة بحيث يفهمه الناس ويهضمونه ويعجبون به . ولكنْ حين يمضي نصف قرن من الزّمان ولا يستطيع القرّاء وعشاق الشعر أن يهضموا شعر الحداثة فإن هذا لا يعني إلا شيئاً واحداً وهو أنّ الحداثة بوضعها الحالي قد فشلت وأخفقت .

ولعلّ العيب لم يكن في الحداثة بمقدار ما كان في تطبيقها وذلك لأن أهل الحداثة من اللحظة الأُولى عبدوا نماذج الأجنبى وكفروا بروائع التراث وحملهم هذا على أن حطبوا من أدب الأجانب كلّ ضار واتخذوا من أعلام الأجانب قدوات لايُسألون عما يعملون . وقد كان من نتيجة جهودهم الحداثية أن أنسونا شعرنا الأصيل وتراثنا النبيل وأسلوبنا الأمثل وطلعوا على وسطنا الأدني بمسمّياتٍ ما هيمن أدبنا في شيء ومن اللحظة الأولى فَرّقوا أدبهم وكانوا شيعاً فهذا برناسيٌّ وذلك إيماجيٌّ والثالث رومانسيٌّ والأخير رمزى وليزداد الأمر سوءاً جرّعونا الحداثة

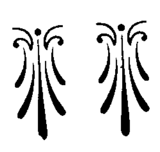
دونـــها تنظيم للجــرُعـــات فلم نهضم حداثتهم بعـــد أن كظُّــوهـــا بالـوثنيـات والشخصيات المشبوهة وإشارات الوثنية والخرافات اليونانية فكان أن حرمنا تلك الأنغـام الـوضيئـة الجميلة التى أطـربتنا زماناً طويلاً بروائع شعرنا الأصيل النبيل وعزَفت لنا عبر التاريخ على أوتار القلوب حين كان الشعر يشجينا ويسلّينا وكان يضحكُنا ويبكينا وكان يبعث طاقات الحماسة فينا وكان يوقد في شيبنا وشبابنا جذوة العزائم ولَهَب التضحيات .

والحقُّ أن ساحة الشعر الآن مضحكة مبكية وأن منصَّة الشعر الآن يحتلُّها دعاة الحـداثـة ويصيحون من على منبرها المقدّس بصخب تحاول أن نتجرعه ولكن لا نكاد نسيغُه .

وأغـرب الغـريب فى دعاة الحداثة أنهم أولعوا بشخصيات الآداب الغربَّية غير مبـالـين بسـوء سيرتهم في مجال الأخـلاق والعقيـدة والإيمان ، وحاولوا أن يفرضوا على مجتمعنـا احـترام أدبـاء الغـرب وهم يعلمون علماً يقينا مدى الشذوذ والكفر والإلحـاد والعنصـريـة التى غرق فيهـا الكثـير ون منهم . وإذا لمنـاهم على ذلك الاتجـاه قالـوا نحنُ لا ننظـر إلى أخـلاق الأديب ولكننا ننظر إلى تكامل الفنيّةِ في إنتـاجـه . وتنـاسى إخواننا أن أدب الأديب ما هو إلا لوحة لنفسيته وأن الفنَّ مرآة الفَنَّان وأنهم إن قدّسوا أعلام الأدب في الغرب فقد أشادوا ضمناً بدرعاتهم ودعوا شباب أمتنا إليها .

أخيراً أهدى إلى أدباء الأصالة هذه الطاقة الندية من أزاهير أشعارنا مع طاقة أخـرى من زنـابق حُبّى وفـاغيتـه . أما أدباء الحداثة فأهديهم دعاءً منى أن يطهر أقلامهم وقرائحهم من همزات الشياطين والملحدين .

المؤلف





الباب الأول

خلفيات حداثية

١ - حداثة أم تقليد

٢ - بدر شاكر السياب

٣ - تعدِّي الحدود

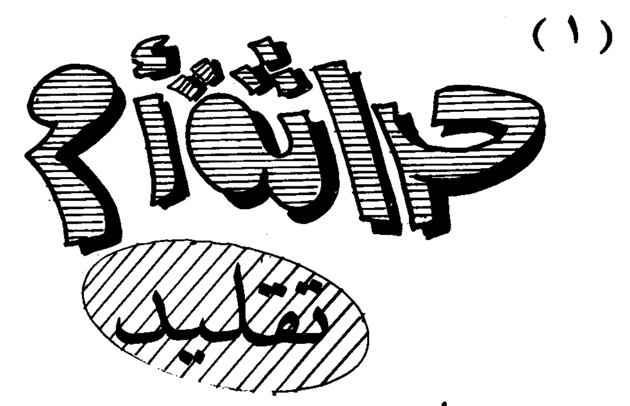
٤ - بين حجازي ودنقل

٥ - نماذج مشبوهة

٦ - تخريب النقد

٧ - حول البنيوية

(١)



أعـترف مرَّة أُخـرى أني كتبت كتـابي (جنـاية الشعر الحّر) وأنا غاضبٌ منفعل يكـاد يسطـوني الألم والغضب أمـا أوراقُ هذا الكتـاب فأكتبهـا وأنـا في غايـة الهـدوء . بَيْـد أن هذا الهـدوء لن يمنعنى من الصراحة مهما كانت مُرَّة . وسأضع لُقراء الأدب وعشاقه النقط على الحروف مهما دفعنا من ثمن الصراحة . ولسوف ننبذ المجـاملة لأنها تعبيرُ ملَّطف للنفاق الجبان . وإذا كنت قد خسرت صداقات غالية حين ألَّفت (جناية الشعر الحّر) فما أرْبَحَ تلك الخسارة إذا كان جزاؤ ها عند ربنا شهادة الحق ومقعد الصدق .

الحـداثـة في مفهـوم العقلاء هي الاستفادة من كلِّ جديد مفيد يجُّد عند الأمم المتقـدمـة في الحضـارة شرقيَّـةً كانت أم غربيَّـة . وذلـك بأن تقتبس الأمة أحسن الحديث ثم تضمُّهُ إلى تليدها المشرِّف طامحة إلى الكمال والرقي والأفضل . وهذا أمـرٌ يقـرُّه كلُّ عاقـل ويسعى إليـه كلُّ شريف . فما أجمـل أن نقتبس من البـلاد المتقدمة صناعاتهم الحديثة كصناعة الأسلحة وصناعة الأدوية وصناعة الأغذية . ومـا أجمـل أن نقتبس من مجتمعـات الغـرب عادات النظام والنظافة ودقة المواعيد والتبكـير إلى العمـل لأن هذه كلَّهـا من أوامـر ديننـا ولأن فيهـا قوَّةً وازدهـاراً لمجتمعنـا ، ومـا أحسن أن نقتبس مما ينقصنـا من الأمـور النـافعـة في الأدب والاختراع وخدمة المجتمع ووحدة الصف تحت لواء الخدمة الصالحة للإنسانية .

ولكنَّ مفهـوم الحـداثـة الآن لم يعد يعني إثراء الصناعة والمجتمع والأدب وإنما هبـط مضمـون كلمـة الحـداثة لتنحصر في حيِّز الشعر ويصبح معناها : أن يعمد

الشعـراء إلى أدب الغـرب فيتخـذوه منهجاً وقدوة ونموذجا ومدرسة . وفي الوقت نفسـه أن يعمـدوا إلى شعـرنا العربي فيهدموا عموده ويمزّقوا موسيقاه ويتجاهلوا عناصره الفنية ومناهجه الأخلاقية وأسرار بلاغته ودلائل إعجازه .

وهـذه هي الحـداثـة التى يتبنّـاها الآن معظم دعاة الحداثة وهي التى عقّدَت نفـوسهم إزاء تراثنـا المـاجـد وأدبنـا الخـالـد فصـاروا إذا ذكر شعرنا ولغتنا ونُحونا وبلاغتنا اشمأزت قلوبهم وإذ ذكر أي أدب ماجن أو أديب شرقيٍّ مشبوه إذا هم يستبشرون .

وإذا قلت إن شعـر الحـداثة حتى الآن لم يستطـع أن يشق طريقهُ إلى القلوب وأن جماهير القُرّاء والمستمعين لم يتقبلوه فانيّ لا أسوق الكلام جُزافاً ولا أرجفُ به إرجـافـاً ولكني أورد بين يدي حكمي هذا نماذج لأقطـاب شعراء الحداثة تثبت أن شعـر الحـداثـة في معظمه لا يمتع الأذواق السليمة ولا الأخلاق المستقيمة . وأنّه أساء إلى أدبنا وماضينا الأدبي الفاخر حين أضلَّنا عن أدبنا الأصيل ، وعجز عن أن يتحفنا البديل ، فوقعنا عندئذ كالغراب الذي يحاول تقليد القطاة فأضلٍّ مشيته وعجــز عن مشيتهــا ، لا نحنُ حافظنــا على أصــالتنـا ولا نحنُ تفـاعلنـا مع تجديدهم . وإلى القارىء هذا النموذج من شعر الحداثة برهاناً على ما نقول :

لقـد كان من أعظم شعـراء الحـداثـة الـدكتور خليل الحاوى كان قوي الموهبة غزير المادّه متين اللغة واسع الاطلاع في الأدب العربي قديمه وحديثه وكان طويل البـاع في مجال النقـد . وسأغض النظـر عن كفـره وإلحـاده وموته منتحراً على أثر موجة يأسٍ من رحمة الله لأن إنتاجه هو الذي يعنيني أما سلوكه فمردُّه فيه إلى ربّه الـذى لا يظلم مثقـال ذرَّة . وقـد كان لخليـل حاوى زميلٌ ونظير يشابهه في مبدئه وسلوكـه وسعـة اطـلاعـه اللغوى . كان مثله من الحزب القومي السوري المشبوه شأنـه في ذلـك شأنُ جميع الحداثيين الذين التفوا حول مجلة شعر إنّه أدونيس لكن أدونيس هو أفقـه شعـراء الحـداثة في الأدب العربي واللغة العربيّة ولهذا فإني حين أورد النــماذج من شعــر حاوى وأدونيس فإنى أنقضُ على أثنــين من أعظم روّاد الحـداثـة في الشعـر حتى لا يقـال إنى أختـار النـماذج لضعـاف الشعراء وأن هذه النماذج لا تمثل شعر الحداثة .

هذه قصيدة من أشهر شعر الحاوى جعل عنوانها **(مع الغجر)**

عاد من عُرْس الغَجرْ
دفعةٌ في وجهه
وعلى قمصانه الف ثائر
موجة واحدة في دمه
في زوغة الشمس،
وحمًى المعدن المصهور
في البركان في وهج الثمار
موجة تغْزل في المرج فراشات
وتغفو في خوابى الكرْم
تغفوا في قوارير النهار
موجَةٌ نوَّرها في دمه
عُرْسُ الغجرْ



وكنت سأكمــل القصيـــدة لكنني سئمت فاكتفيت بهذا النصف الأول . نعم لقـد سئمت لأني لا أفهم ولم استطـع أن أفهم شيئـاً . وإذا كان الـدكتـور خليـل حاوى لم يستطـع أن يُفْهِمَ معلّماً للأدب العـربي دّرسه أربعاً وثلاثين سنة فلمن إذن يكتب الحاوى شعره .

وأعـود لأتسـاءَل ما موضـوع هذا الشعر وهو لا غَزَلٌ ولا وصف ولا حكمة ولا وطنيـة وإني أتحـدَّى أن أعرْض هذه القصيدة على عدد من شعراء الحداثة وأجزم أنهم لن يتفقوا على رأى في فهمها وتفسيرها .

أمـا النمـوذج الثـاني فقد اقتبسته خاطفاً قصيراً من شعر أدونيس وتعّمدت ألاَّ أطيل النمَوذج حتى لا أزعج القُرَّاء بكلام لا معنى له ولا هدَف ولا موضوع .

ثديُ النملَهْ
يُفرزَ حليبهْ
ويغسلُ الإسكندرْ
الفرسُ جهاتُ أربع
ورغيفُ واحد
والطريق كالبيضهْ
لا بداية له .



أليس هذا الشعر استهانـة بعقول القُرَّاء وبوعي الأمَّه أنا أجزمُ أن أدونيس ما نظم هذا الشعر إلا لاعتقاده أن الوسط الأدبي في أمته تافه هزيلٌ إمّعة .

ومن حقي أن أتسـاءَل : إذا كان أسـاتـذة الأدب لا يفهمـون شعـر الحـاوى وأدونيس فهل يعني هذا أن أدونيس والحاوى صنف متمّيزٌ فوق مستوى البشر أم أنـه هبـط من مروج عبقـر إن أدونيس ليس شيئـاً من ذلـك لكنه صاحبُ مذهب هدام وعقيـدة فينيقيـة مشبـوهـة وهو إنما يطلع على الناس بمثل هذا الشعر لينّفذ مؤامرة على لغة القرآن وليقضي حاجةً في نفسه من حوائج الشيطان ولينفس عن وتر حشاه في شغاف ضميره معبوده أنطون سعاده .





لا أغـالي إذا قلت إنّ الأستـاذ بدر شاكر السَّياب غفر الله له كان أعظم شعراء الحـداثـة طاقـةً شعرَّية ، وأنه احتل بين شعراء الحداثة مركزاً لم يتبوأه غيره وأحرز شهـرةً لم يحلم بها سواه وحسبـك من شهـرتـه في الـوسـط الأدبي العربي أن أحد الـدكـاتـرة وهـو الـدكتور إحسان عباس نال جائزة الملك فيصل في الأدب تقديراً لبحث كتبه عن بدر شاكر السَّياب وأن الدكتور عيسى بلاطه نال شهادة الدكتوراه من لنـدن ببحث كتبـه عن بدر شاكـر السيـاب والحقّ أن بدر كان ذا طاقة شعرية هائلة جعلته أعمق شعراء الحداثة تجربة ذاتية وأفقههم لقواعد اللغة وأصولها ولا غرو فقـد جمع بين المـوهبـة الأصيلة والدراسة العميقة والذكاء العجيب . وكلمة حقّ أن شعـر بدر كان ملتـزمـاً بالموسيقى الأصيلة ولو بتفعيلة منتظمة لا ترى فيها عوجاً ولا خطأً . لقد كان معلّماً للغة العربية شأن زميلته التى أحبها الشاعرة لميعة عباس عمارة ومن ثم كان شعر بدر خالياً من أخطاء اللغة وضحالة الفكر .

وقد آثرت أن أتناول أبا غيلان بالنقد حتى لا يقول قائل إني أحكم على شعر الحداثة من خلال ضعاف الشعراء ولكي اكشف لجمهور قُرَّاء الأدب خلفية زعيم عظيم من زعماء الحداثة والخطورةَ القاتلةَ التى تكمن في شعره والتى كان لها أثرها في تسميم العقول والتشكيك في العقيدة .

ومعاذ الله أن أتحامل على بدر بغير مبر ر فالتحامل عدوُّ الإنصاف . واعترف للقُـرَّاء أنني كنت في صغـري أجـالس الشيـوعيـين في القـدس وأفكـر في أعتناق

الشيـوعيـة لأغيـظ الانجليـز وكنت من أشد الناس تقديراً لشعر بدر ورثاءً لمأساته حين أُنهار أمام المرض العضال منذ عام الفـوتسعمائةوستين فأرسلها قصائد باكية تقطـع نيـاط القلوب . كان يخاطب بقصائده النائحة زوجته إقبال فيُودع قصائدهُ عصـارة روحـه وخصـوصاً حين يذكر ما يخشاه من يُتْم غيلان وأختيه وثكل أرملته أمهـا . ومن ذا الـذى لا يحزن حين يستمـع قصـائـد وداعية ينظمها شاعر ينتظر المـوت في أي لحظـة ليـترك للضيـاع ثلاثة أيتام وزوجة مخلصة . إن الإنسان أخو الإنسان والبشرية عائلة وبدرٌ بعد هذا وقبله عَربيٌ ومسلم إن شاء الله .

لكنَ بدْراً رغم مأساته كان خطير الشعر لأنه نظم أروع أعماله الأدبَّية وهو في قمَّة ولائه للشيوعية ، ولهذا جاء شعره في بعض مواطنه سُمّاً زعافاً يسري في أجساد قرّائـه . وكـان مما يكـرِّهني في بدر أنـه كان يظهـر إعجـاباً شديداً بالشعراء الذين اشتهـروا بالشـذوذ والدعـارة من أمثال بودلير وفيرلين مع أنَّ بودلير لُقب بالشاعر الرجيم لشدة استغراقه في المفارقات المخزية .

وثمـة ناحيـة أخرى من خطورة شعر بدر وضرره وهى شدة إغراقه في الإشارات الـوثنيـة واستدعاء الشخصيات التراثية الكافرة في شعره . وإنك لو طالعت شعر بدر وأعـمالـه لوجـدتـه من أكثر الشعراء تلميحات كافرة وثنية . وقد تعقب بعض الشعـراء بدراً في هذا الأمـر فأدهشهم إيغـالـه المـريب في استـدعاء الشخصيات الـوثنيـة مثـل عشتـار وبعـل وسيـزيف ونرسيس وميدوزا وكونغاي وأولمب وأتيس وألعـارز وزيـوس وأدونيس وسربروس وأوديب وجوكست وأفروديت وهلين وأبولو وأورفيـوس وإكار وعوليس وبرشعون وأخيل وألسير ين وكلها شخصيات لا تخرج عن وثن أو بطلٍ لخرافةٍ .

وقد تسمع من البعض أن بدراً قد تاب عن الشيوعية وتحوَّل قوميًّا ، وتاب مرّة أخـرى حين رأى المـوت في مرضـه فنظم دواوينه المتـأخرة أمام باب الله) و(سفْرَ أيّـوب) و (المعتـد الغـريق) وهي دواوين لا تخلو من توجُّهات إلى الله . والحقُّ أن شعـرَ بدر وهـو قوميٌّ لا يقـلُّ خطـورة عن شعـره وهـو شيوعي لأن القومية العربَّية بُعثت في العصر الحديث بشكل ممسوخ يفصل العروبة عن الإسلام وحسبك أن

واضعي أسس القـومية العـربيَّـة الحـديثـة معظمهم غير مسلمـين وأنهم كانـوا يتحـاشـون ذكـر محمد ﷺ وذكر الإسلام حتى لا يكسروا شعور النصارى العرب مع أن العروبة إذا جردت من الإسلام فقدت شرفها وتاريخها وأمجادها ومفاخرها وأصبحت جاهلية ونعراتٍ وادعاءاتٍ جوفاء .

وبدرٌ غفر الله له كان يؤمن بالقومية العربَّية بشكلها الممسوخ ومن ثم فقد كان تحوُّل بدر من الشيوعية الى القومية تحوُّلاً عن الرَّمضاء إلى النار .

أمـا توبتـه التى انبعثت من الآم المـرض ومن توقـع الموت فهى توبة على هيئة صراخ لا يخلو من استنكار وتساؤ ل وشكوك تسمعها على شكل جؤار متفجر في دواوينه التى ذكرتها ولنستمع إلى بدر في بعض قصائد توبته والخطابُ في القصيدة موجهٌ إلى الله جلّ جلاله :

منطرحاً أمام بابك الكبيرْ
أصرخ في الظلام أستجيرْ
يا راعيَ النّمال في الرّمالْ
وسامعَ الحصاةِ في قرارة الغديرْ
أصيح كالرعود في مغارة الجبالْ
كآهة الهجيرْ
أتسمعُ النداء ؟؟!! يا بوركتَ تسمعْ ؟
هل تجيب إن سمعت ؟!
يا صائد الرجالْ !!
وساحقَ النساءْ !!
يا مفجِّعْ !!!
منطرحاً أمام بابك الكبير
أحسُّ بإنكسارة الظنون في الضمير
أثورُ أغضبْ
وهل يثور في حماك مذنبْ ؟!!

ومن الـواضـح أن القصيدة صيحة استنكار وليست هتافة استغفار . نعوذ بالله من تقلُّبِ القلوب . إنَّ قصـائـد الغـزل في شعر بدر في نظري أشرفُ وأسمى من هذه القصيــدة وأمثـالهـا . لأن غزل بدر لا يزيغ القلب كما تفعـل أمثـال هذه القصيـدة ولكي ننصف شعـر بدر المـوهـوب دَعـونا نستمع إلى لقطتين من شعره أولاهما وصيته لزوجته إقبال . والأخرى حديث عن ابنه غيلان وهما من شعره في أواخر أيامه والحقُّ أنهما من روائع الشعر الإنسانى :

إقبال يازوجتى الحبيبه
لا تعذليني ما المنايا بيدي
ولست لو نجوت بالمخلَّدِ
كوني لغيلان رضاً وطيَبَهْ
كوني له أباً وأمًّا وارحمى نحيبَهْ
وعلميه أنْ يذيل القلبَ
للفقير واليتيم
وعلميه . . . .

أمّا المقطوعة الثانيه فهي قوله يَذْكر يُتْمَ غَيْلان

أسمعه أبكي يناديني
في ليليَ المستوحد القارسْ
يدعو . . . .
أبي كيف تخلِّينى
وحدي بلا حارسْ
غيلانُ لم أهجركَ عن قصدِ
الداء يا غيلان أقصاني

حقًّـا أنَّ هذا شعــرٌ يستحقُّ الخلود ولكم تمنيت أنَّ بدراًسخَّرطاقتـه الشعـرَّيـة المبـدعـه في مثـل هذه الإيقاعات الإنسانية وفي نشر النزعات الأخلاقية إذن لخدم بدرٌ دينه وأمته وتمتع بنجاح عجيب وجمهور مستجيب . وذلك لأن بدراً كان يصدُر في شعره عن طوفان عاطفي جارف في شكواه وفي غزله . كم كان غزلُ بدر يعجبنا

وخصوصاً وهو يذكر حبائب له معروفات : إحداهُن إحدى قريباته (وفيقه) تلك التي أحبّها فلم تلبث أن تزوجت ثم توفيت . أما الثانية فحبيبته (هالة) وهي فتاة ريفية رقيقة كانت ترعى غنمها على نهر الخصيب قريباً من بيتهم . وما أجمل غزله حين كان يتغزل بهالة فيمزج الجمال بالطبيعة في فَنِّيَّةٍ منقطعة النظير . أما ثالثة حبائبه فهي ابنة الجلبى التى نظم فيها مجموعة رائعة سماها (شناشيل ابنة الجِلْبى) وابنة الجلبى فتاة أرستقراطية كان أبوها ملّاكا كبيراً وكان عمُّ بدر يشرف على أملاك أبيها . وكان لقصرها شناشيل وهي شبْابيك من الفسيفساء .

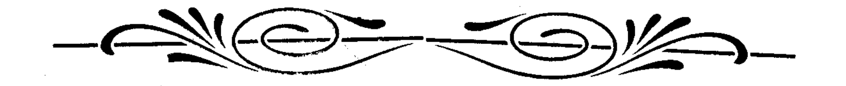
نعم أن الأمانة تقتضي أن أعترف أن شعر بدر كان ممتعاً في موضوعات الغزل والشكوى ولكن حين كان يخوض في القضايا الاجتماعية والسياسية تصريحاً أو تلميحاً أو رمزاً هنالك تراه منحرف الاتجاه مستهجن العبارة جريئاً على ربه ودينه كما تقرأ في هذا النموذج من قصيدته (مدينة السندباد) من ديوانه (أنشودة المطر) وهي قصيدة تصوِّر الفساد الذى استشرى في عهد عبدالكريم قاسم وتلاحظ أن أسلوب القصيدة قد جرف بطوفانه الانفعالي حدود الأدب بين بدر وبين ربّه وبين الرسل الكرام .

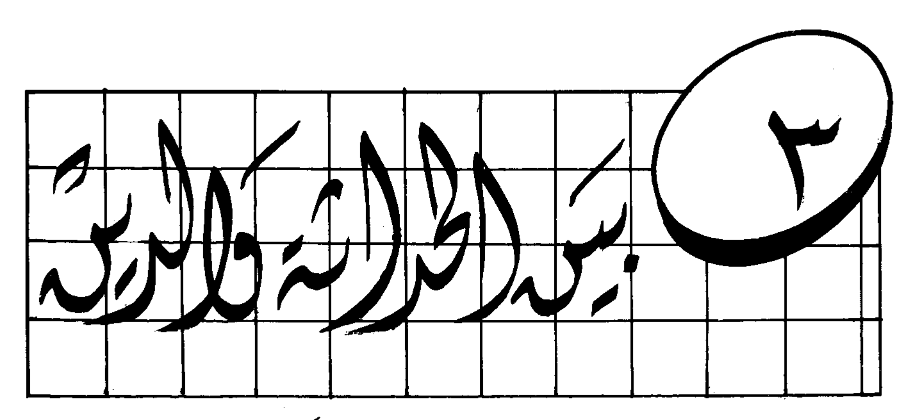
محمّدُ اليتيم أحرقوه
فالسمــاءْ
يضيء من حريقهْ
وفارت الدماءُ من يديه من عيونهْ
وأُحْرِقَ الإلهُ في جفونه (أعوذ بالله)
محمّدُ النبيُّ في حراءَ قَيّدوهْ
فَسُمِّر النهَارُ حيثُ سمَّروهْ
غداً سيُصلب المسيح في العراق
ستأكلُ الكلابُ من دم البُراق

مع اعترافنا بالطوفان الهائج في عاطفة الشاعر حول ما كان العراق يقاسيه من مظالم لكنّ هذا الأسلوب خطير لأنه تجاوزٌ لحدود الأدب في الحديث عن رسول الله ﷺ وعن عيسى عليه السَّلام وعن البراق مركب الأنبياء الكرام .

إن على القـارىء أن يحذر مثـل هذا الأسلوب لأنـه جراءة آثمـة وخروج على أسـاليب الأدب التى تعـوَّد أن يأخـذ بها الأدباء حين يتحدَّثون عن الرُّسل الكرام والحقُّ أن كثـيرين من دعـاة الحـداثـة وبخـاصة المسلمون منهم ترى في تعبيرهم جرأة على الله والإسلام وهي جرأة لا تفسير لها إلا الاستهانة بالدين .

وإذا قبلنـا من شعـر بدر دواوينـه الثـلاثـة الأخيرة التى نظمها والمرض يهدّ به فكيف نقبـل منـه دواوينـه الأربعة التى نظمها وهو أشد حماساً للشيوعية من لينين ألا وهى (حفار القبور) ، (والمومس العمياء) ، (وأنشودة المطر) ، (والأسلحة والأطفال) .





لم يكن بدر وحده هو الجرىء على مقام ربه ونبوَّة رسوله فقد تردى في هذا الاتجاه الكافر كثيرون من دعاة الحداثة وروّاد التجديد . ولا مبرر أبداً لتلك الجراءة الظالمة ولا علة مفهومةً لها سوى أن روّاد الحداثة الذين نعرفهم كان لهم ماضٍ معروف وحَسْبُك أن تعلم أن معظم روّاد الحداثة الذين التفوا حول مجلة (شعر) كانوا من الحزب القوميّ السورى الذى أنشأه أنطون سعادة وجعل شعاره أن سوريًا ذات قومية فينيقية لا علاقة لها بالعرب وكان من بين أولئك الرواد يوسف الخال ومحمد الماغوط وأنسي الحاج وتوفيق صايغ وجبرا خليل جبرا وشوقي أبو شقرا وخليل حاوى وشيخهم أدونيس الذى مدح أنطون سعادة بديوان شعر كامل وغيرّ اسمه بناءً على رغبة أنطون سعادة من علي أحمد سعيد إلى أدونيس إله الخصب عند الفينيقين كما غيرّ دينه من العلوية إلى النصرانية لإرضاء الرجل نفسه . (هذا وسوف أعود إلى هذا الموضوع وأعني انحراف العقيدة عند روّاد الحداثه) حينما أعرض إلى مذهب نقدي جديد اسمه (البنيوية) التى يستغرقُ فيها في هذه الأيّام الأديب السعودى الدكتورعبدالله الغذامى بحسن نيّة .

وكبرهان على انحراف العقيدة عند الكثيرين من دعاة الحداثة أورد هذا النموذج العجيب لشاعر منهم اسمه عبدُه بدوي . عنوان القصيدة (آداب نوفمبر) وموضوعها دعوة سافرة إلى الكفر والاستمتاع بحلاوة المعصية وأنوارها (كما يزعم الرَّجل) القصيدة إشادة بأخلاق الابن الكافر لسيدنا نوح حين ناداه أبوهُ ﴿ يا بنيّ اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ﴾ فأبى إلا الكفر حتى حال الموج

بينه وبين أبيه فكان من المغرقين . هذا الكافر العاصي لوالده رسول الله هو البطل النموذج لعبده بدوي :

لا تصرخ يا ربَّان الفُلْكِ المقلعْ (إركب معنا)
لا تخفق من حولي بجناح الرحمهْ
فوحيداً ثم وحيداً سوف أظَلُّ على القِمَّةْ
مهما صعِدتْ في روحي أقدامُ الطوفان
ما أشهى أن يبدأ إنسانٌ رحلته في هذا العالم
ملتفًّا بالعصيانْ
ومضيئاً بالعصيانْ

أرأيت أيَّ دعـوة مظلمـةٍ ظالمـة يتبنَّاها هذا الشاعر الغريب . إنها دعوة سافرة إلى عصيان الرُّسل وإشادةٌ بالعصيان وزَعْمٌ فظيع بأن للعصيان أنواراً . نعوذ بالله من همزات الشياطين . وإغواء المضلّين والملحدين .

ولقـد كان من أجـرأ الشعـراء على ربنـا جلّ جلالـه وعلى رسـولنا ﷺ شاعرٌ حداثي يعتبر ونه في مصر شيخاً لشعراء الحداثة في مصر إنه صلاح عبـــدالصّبور ذلـك الشـاعـر الـذى رجـونـا منه خيراً كثيراً حين نشأ في بلده الزقازيق ونظم من فيض فطرته قصائد مهذبة ملتزمة لكنه ما لبث أن اصطادته الحبائل المردية فتحوَّل عن الأصالة شيئاً فشيئاً حتى تزعّم حركة الانفلات الأخلاقي في الشعر . وما أحبُّ أن أكثر من نماذج عبدالصبور في الجراءة على الله ولكني أحيل القارىء إلى ديوانه التعس ليقرأ قصيدته (الإله الصغير) ص ٤٧ من المجموعة ليرى أن عبدالصبور يتجهم على الذات الإلهيَّة ويعرّض بأسماء الله الحُسنى في سخرية وإذا تحدَّث عن حكمة الله الباهرة القاهرة البالغة استعمل اسلوب الاستهزاء وإذا عرض لموضوع المرأة وعفافها خرج على اللياقة وغرق في السوقية .

وأخـــيراً رأينـــا صلاح عبـــدالصبـور يتقمص شخصيـة الحجـاج كما تقمص شخصيـــة أدونيس من قبله شخصيـــة مهيـــار الـــديلمي الشيعيّ . وإذا صلاح عبدالصبور يشيد برجل صوفي خرج عن طوره حين ادعى أنه أفضل من الأنبياء

وقـال فيـما يروى عنـه (قدمي هذه على رقبة كلِّ نبي) فكان أن أدانه مجلس علماء المسلمـين وحكم عليـه بالإعـدام بعد أن سجّلوا عليه من كلامه ما يدينه وحاولوا معه أن يتوب ويستغفر فَظلَّ مُصِرًا واستحق الإعدام ضرباً بالسيف .

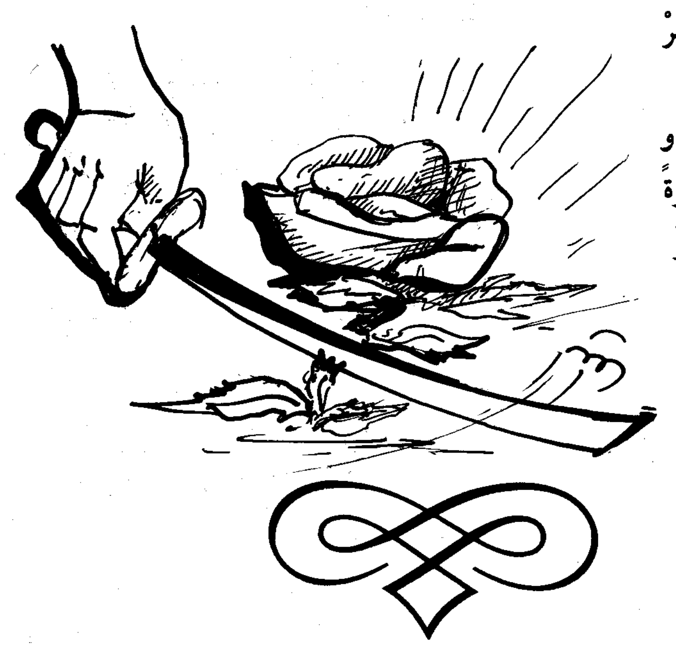
على أنني ما رأيت أشدَّ جُرأة في التهكم على الدين والأنبياء والمُثل العليا من أدونيس إنه في هذا الأمر طاغوت . وقد أوردت نبذة في كتابي (جناية الشعر الحرّ) عن ماضيه الحافل بالجريمة وما أريد أن أعيد نماذج شعره الخارج عن اللياقة وكل التزام دينى أو أخلاقى أو وطني .

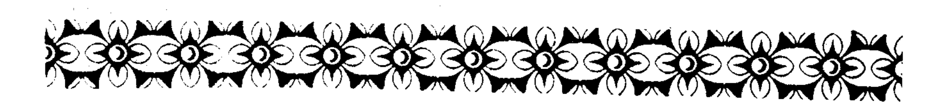
والغـريب أن عدداً من شعـراء الشبـاب دَعـوْني إلى نادي الـريـاض الأدبي ليناقشـوني في ما ورد في كتاب (جناية الشعر الحرّ) فصرفوا الليلة في محاولة لتوجيه اللوم إليَّ لأني (أرفض فساد الأخلاق في الشعر والشعراء) وكانت وجهة نظرهم : أن العمل الأدبي عند نقده لا يجوز أن ينظر إلى مضمونه إذا اشتمل على دعوات انحـلال أو هدم أو فسـاد ويكفي أن يدرس على ضوء تكـامـل عناصر فنيَّة معينة فيـه . فأبـو نواس في خمريّـاته ومجونه وتهتكه قد يكون أعظم في مقياس نقدهم من أي شاعر ملتزم بالأخلاق والبناء والدين .

ودهشت جدًّا أن يتناسى أولئك الشباب أن أمتنا قد ديست كرامتها ومقدّساتها تحت سنابـك الكفـر الصليبى والحقـد اليهودى وأننا في هذه الحال لسنا في حاجة إلى دعـاة الهـدم بقـدر ما نحنُ في أمسّ الحـاجـة إلى دعـاة الجهـاد والتضحيات والأخلاق لنمسح هزائمنا الأخلاقية بانتفاضة إيمانية نؤدّب بها الغاصبين المجرمين .

على أنَّ هذا لا يعني أن نرفض أدب الأديب إذا كان هذا الأديب سيّء السيرة فالحكمـة ضالـة المـؤمن ينشـدهـا أنَّى وجـدهـا والله جلّ جلالـه ينصر دينه بالبرّ والفـاجـر فإذا صدرت عن أبي نواس حكمـة خالـدة وتجـربـة فاضلة فمـرحباً بما يقـول . ومـا زال يعجبني الكثـير من وطنيـات نزار على الرغم من عدم ارتياحى للكثير من شعره وكم رددت قول نزار إذ يخاطب أعداء الأمة :

لا تسْكروا بالنصرْ
إذا قتلتم خالداً
فسوف يأتي عمرْو
وإن سحقتم زهرةً
فلن يموت العِطرْ





(٤)



أحمد عبد المعطي حجازي من رواد التجديد والحداثة وأمل دُنقُل أيضاً من شعراء الحداثة ومن الشباب الذين اصطفاهم لويس عوض ليحرروا في الأهرام .

وقد قرأت منذ أسابيع مقالةً لأحمد عبدالمعطي حجازي عنوانها (رسالة إلى أمل دنقل بعد موته) كان موضوع الرسالة (السخرية عند أمل دنقل) وأحمد عبدالمعطي حجازي يجيد التنقيب في الدواوين ولهذا توقعت أن أقرأ أروع روائع السخرية في النماذج التى سيختارها حجازي لدُنقل وفعْلاً رأيت النموجين اللذين اختارهما حجازى وهما من أجود شعر دنقل ولهذا رأيت أن أعرض النموذجين على القرَّاء ليعرفوا بالبرهان أيَّ شاعر كان دنقل وأيُّ ناقد هو حجازي .

النموذج الأول الذى أورده حجازي لدنقل :

كان ترام الرَّملْ
منبعجاً كامرأةٍ في أُخريات الحملْ
وكنتُ في الشارعْ
أرى شتاء الغضبِ السّاطعْ
يكتسح الأوراق والمعاطفا
وكانت الأحجار في سكونها الناصعْ
مغسولة بالمطر الذى توقَّفا

النموذج الثاني

في دَقَّةِ بائعة الألبانْ
تتوقَّفُ في فكّيْ
فُرشاة الأسنانْ



حبيبتى في لحظة الظلامْ
لحظةِ التوهّجِ العَذْبهْ
تصبحُ بين ساعديّ جُثّةً رطبهْ
في الشارع
أتلاقى في ضوء الصُّبح
بظلي الفارغْ
نتصافحُ بالأقدامْ
مَن يقتل في الشارع أطفالي المساكين
،لكي لا يصبحوا في الغد شحَّادينْ
يستجدون أصحابَ الدكاكينْ
وَينْسلُّون في الليلْ
يبيعون الجعارينْ
لأفواج الغُزاة السَّائحين

والآن وقـد أنتهى النمـوذجـان من شعـر محمد أمل دنقل رحمه الله أسألُ القُرَّاء أليس هذان النمـوذجـان دليلين على حجم الخسـارة الفادحة التى حلَّت بشعرنا من أمثـال حجـازي ودنقل ومن لفَّ لفهما . إنّ أوّل نظرة إلى النموذجين تكشف أنها عيّنة صادقه للشعر الردىء السَّاقط في مستواه الشكليّ والمضموني .

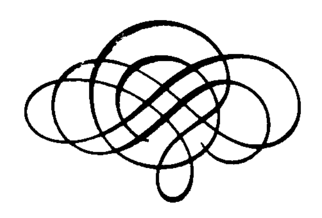
وعلى ذكر محمد أملْ دنقل رحمه الله فقد استغربت حتى بكيتُ وضحكتُ ، حين رأيت بعض الشعـراء السعـوديـين ينشـرون في دنقـل روائع الرّثاء ويرسمون منه ومن أمثاله نماذَج للوطنيه يغـرون الشباب المسلم في الديار المقدّسة باحتذائها وكنت متاكدا أنهم لا يعرفون الرَّجُلَ غفر الله له . وهم إنما يرثونه على قاعدة (خالف تعرف) .

ولكي يعرف أولئك الشعراء في ديارنا المقدسة جريرتهم في رثاء الرَّجل ووصفه بالشهيـد أذكـر لهم هذه المعلومـات عن أمـل دنقـل وهي معلومـات عارف خبير ينصف الموتى والأحياء .

وقد يقول قائل (قال رسول الله ﷺ : اذكروا محاسن موتاكم) فأقول صدق رسول الله ولكن حينُ يقدِّم أمل دنقل نموذجاً للشباب المسلم لاحتذائه يصبح السكوت جريمة ويكون كتمان الحقيقة جناية .

لقد كان محمد أمل دنقل غفر الله لنا وله ذا حياة عابثة رخيصة مستهترة نشأ نشأةً عجيبة تقوم على التسكع والصعلكة فكان قلّما يجلس في بيته وقد عرفه كلُّ من خالطه بالانفلات الأخلاقي والفوضى الجنسيَّة ولما تزوّج من سيدة كريمة وفيَّة ظنَّ الناس أنه سيملك نصف دينه ويغيِّر مسيرةَ أخلاقه لكنه سامحه الله أدخل تلك الزوجة النموذجية في حبال شقوته وظل على فوضاه وصعلكته وكنتيجة لإغراقه في الحرام مما لا أذكره أصيب بأمراض تناسلية ظلت تتطور معه حتى تحوَّلت إلى ما يشبه السّرطان في عضوه الحساس فلزم المستشفيات وعولج في الشرق والغرب واهتم به الأستاذ لويس عوض الذى كان ومازال صدراً حنوناً لكلّ من يستهين بالإسلام . لكن قضاء الله لا يُرَدّ فاجريت لأمل دنقل عملية استئوصل فيها عضو الرجولة لكن ذلك لم يوقف سريان الداء فتوفى من جرّاء مرضه غفر الله لنا وله ولجميع عصاة المسلمين أهل التوحيد .

أفبعد هذا يا أحفاد الفاتحين من أبناء الجزيرة الماجدة المباركة ترثون دُنقلاً وترسمونه لأبناء الديار المقدسة مثالاً ليحتذُوا أخلاقه . أين أمانة الحرف التى حملها أهل القرائح والمواهب والأقلام أرانا والله قد مرَّغناها في أوحالٍ نتنةٍ من الضلالات العمياء .





من الأمـور المعـروفـة المشـاهـدة أنّ الغَـرْب الحاقد والشيوعيَّة الملحدة أكرمونا إكـرامـاً عجيبـاً فيـما يختص بالأدب فقـد فتحـوا لنـا أبـواب أدبهم وأدبائهم على مصاريعها ننهل منها مانشاء وَنْقتبس من مذاهبها الأدبيَّة والنقدية ما نريد .

لكنهم في الوقت نفسه ضَنُّوا علينا بعلمهم وعلمائهم وتكنولوجيتهم فقطَّروا في حلوقنـا منهـا بالقطارة ونصبوا بيننا وبين علمائهم الحواجز والسُّدود لنظل أميّـن في حقـل العلم والصنـاعـة والتكنـولـوجيا ولنصبح فطاحل في الجدل البيزنطي حول المذاهب المصطرعة في الأدب والشخصيات الملحدة في الأدباء .

وإنـك لتسأل عابـر السبيـل في الأدب عن أدبـاء الغـرب واتجاهاتهم فيجيبك إجـابـة يستحق عليهـا مائـة في المائة في حين تسأله عن علماء أوروبا واختراعاتهم ومختبراتهم المحصَّنة فتجد معظم علمائنا يجهلون ذلك جَهْلاً مطبقاً .

لقـد أراد الغـرب بهذه المـؤامـرة أن يجعلنـا أربـاب كلام وجدل لا رجال علم وعمل الا تراه في الوقت نفسه أغرق اليهود في العلم والتكنولوجيا وأغرقَنا نحن في أخلاق أدبائه الذين قـل أنْ نجا أحدهم من الإلحاد والشذوذ والانحلال .

فكان من الطبيعي أن كرّس الصهاينة جهودهم للعلم والصناعة وضيّع العرب جهـودَهم في الجـدل والانقسـام والتكسُّر الاجتماعي فلما بلغ القزم اليهودى أشُدَّه وتحـوَّل عمـلاقـاً وتحوَّل العملاق العربي قَزَما أوقدوا بين العرب واليهود نار حرب كانت في الحقيقة معارك بين قنابل الكلام وبين الأسلحة الحديثة المتطورة .

ولكي يتضح لأدباء الحداثة حجم المؤامرة أعرضُ عليهم علماً من أعلام الفكر والأدب الغربى ورَّده الغرب إلينا وأغرانا باحتذاء نموذجه حتى أصبح له في الشرق الإسلامي دعاة يطبلون له ويزمّرون إنه جون بول سارتر المفكر الفرنسي صاحب نظرية الوجودية .

(والوجوديةُ مذهبٌ اجتماعي قذر مُخَرِّب يَقوم على (ألاّ يهتم الإنسان إلا بما يشبع رغائب وجوده وذاتّيته وألاّ يُصغي لأيٍّ ناصح يأمره بأن يهذب غرائزه لأن ذلك معناه تدخل في حرّيته المطلقة . ومن هذا المنطلق فإن على الأنسان أن يكفر بكل تقاليد الأخلاق وأوامر الدين والإيمان بالله لأن كلَّ هذه تعتبر تدخُّلاً في حرية الإنسان) .

وسارتر الذى يحترمه كثير من أدباء الحداثة كان صهيونياً متحمساً للصهيونية حتى لقد قاد مظاهرة تأييد لليهود حينما احتلُّوا القدس . وبالمناسبة فقد عاش سارتر أعْزَب مكتفياً بسكرتيرته اليهودية .

هذا السارتر يقول في كتابه (الوجودية مذهب إنسانيّ)

(أَن يكون الله موجوداً أو لا يكون ، أمرٌ لا شأن له عندي . على العكس . الله موجود ولكنَّ المهمَّ هو أن أصفع وجوده (استغفر الله) بحرَّيتي الكاملة) شُلَّ لسانه ولُعن بما قال وأستغفر الله لنقل كفره إنَّ هذه العبارة المجرمة تلخص المذهب المجرم الذى ابتدعه سارتر .

وأنا أفهم أن يُثني على سارتر شباب أوروبا حيث يخفت هناك صوت الروح ويعربدُ صوت المادة لكنَّ الذى لا أفهمه هو أن يشيد عربى مسلم بسارتر الذى كان عدواً لدين الله متآمراً على فلسطين .

لقد كان من حصاد الوجودية ومن ثمارها السّامة ظواهُر اجتماعية مخرّبة من بينها نوادي العُراةَ وقطعان الخنافس والهيبز وأمراض الأيدز والهربز والسفلسّ كما كان من حصادها فنياً مذاهب أدبَّية وفنية تخريبية كنظرية الفن والفنّ والسير يالية الغامضة والتجريدية أفبعد هذا يركض أبناء امتنا ذات الرسالة العظيمة وراء أمثال سارتر الملحد الصهيوني المخرِّب الذي قاومه رجال الفكر الشرفاء في أوروبا

وكتبوا عن نظرّيته التخريبيَّة : (إن الوجودية دعوة سافرة إلى الكسل واليأس وهي مذهب انعزالي يدعو إلى الإلحاد والكفر بالله والحساب) .

هذه نبذة عن سارتر على أن بلاءنا في بلادنا لم يقتصر على مصيبة واحدة فقد زاد دعاة الحداثة في أوروبا فوضانا الثقافية والاجتماعية حين أغرقونا بعشرات المذاهب الأوروبية المعاصرة في النقد والأدب وعلم الاجتماع حتى صرنا كما قال الشاعر :

تكاثرت الظباء على خُراشٍ فما يدرى خُراشة ما يصيدُ

وعلى سبيل الثقافة النقدية المعاصرة أعرض بإيجاز إلى بعض المذاهب الأدبية الأوروبية وكلُّها نظريات كانت ردودَ فعل للفشل الاجتماعي والعاطفي في أوروبا هنالك :

أ ـ **الكلاسيكية** التى تَزعّم الدعوة إليها راسين وفولتير وتتلخص في احتذاء النماذج القديمة وتذويب شخصية الأديب في شخصية الأديب الذى ارتضاه نموذجاً .

ب ـ **الرومانسية** وهي تقوم على الابتداع والتجديد والخيال المجنح ولها خصائص أُخرى لا تناسب أدبنا كالهروب من الواقع وكالخيال المغرق والقلق والكآبة والتشاؤم . وقد كان من روّادها اللورد بايرون الانجليزى وفكتور هوجو الفرنسي وجوته الألمانى وبوشكين الروسى والحقُّ أنَّ هذا المذهب هو أقرب المذاهب الأوروبية إلى نفوسنا ومن الممكن أن نقتبس منه بعض محاسنه بعد أن رأينا الومضات الفنية العبقرية في شعر الرومانسيين الانجليز من أمثال ووردز وورث وشلى وكيتس وكولوردج على أن نتجنب ما في هذا المذهب من سلبيات ضارّة .

ج ـ **الرمزية** وهى أساس بلائنا لأنها جلبت لنا الغموض والتعمية والرموز المطلسمة وبذلك أفقدت أدبنا أهم خصائصه وهي التألق والنصاعة والفصاحة والسطوع . وزاد بلاء الرمزية التى وصلتنا عن طريق بعض المخدوعين من لبنان أنَّ روادها الأوروبيين كانوا من أسوأ الأدباء سيرةً

وإغـراقـاً في الانحـلال حتى لقد اعترف معظمهم بإدمانه للشذوذ الأخلاقي والجنسي من أمثـال بودلـير (الشاعر الرجيم) وفيرلين ومالارميه ورامبو وكلهم فرنسيـون ومن أمثـال ألن بووارنست هيمنجـواى وهما امـريكيـان ومن أمثال هنـرى لورنس الانجليـزى وبتلر بِتسْ الايـرلنـدى ورلكه الألمانى . وهؤلاء الشّـواذ هم الـذين فتنـوا بفنهم المسمـوم رواد حداثتنـا من أمثـال بدر شاكـر السّياب وعبدالوهاب البياتي وأدونيس وخليل حاوي ويوسف الخال وصلاح عبدالصبور وغيرهم .

ومن أسـوأ ماجَـرُّوه على أدبنـا العربى أن حَرموا أدبنا من الموضوعات النافعة لأنَّ هذه المـوضـوعـات تتطلبُ الإشراق والوضوح ولأنّ المذهب الرمزى يقوم على التعميـة والغمـوض والصخب المـوسيقى لذلـك لم يستطـع أن يخوض الموضوعات الشريفة واقتصر على الموضوعات الجانبية والذاتية الأنانية .

د ـ الـواقعيـة وهى مذهب كان ردّ فعـل للشيـوعيـة وقـد افتتن به دعـاة القـوميَّـة والشيـوعيـون العرب ظنًّا منهم أنه سيمكِّنهم من مهاجمة الاستعمار على ضوء الـواقـع المجـرم الـذى خَلَّفـه في الأقطـار التى ابتليت به . كانـوا يظنون أن الواقعية سوف تتيح لهم معالجة الموضوعات السياسية والاجتماعية بروح ثورية لكنَّ الـذى حصـل هو أن القـوميـين سَّخروا الواقعية للتطبيل وإلصاق التهم اللذين كانا طابعاً مميزاً للواقعيين العرب من أمثال الجواهرى وسليمان العيسى وأحمـد السَّقـاف وعبـدالله الـبردوني وبلنـد الحيدري وعبدالرحمن الشرقاوي وأحمد عبدالمعطي حجازي وصلاح عبدالصبور .

ثم انهمـر علينـا وابل المذاهب الأدبيّة الدخيلة وإذا شعراؤ نا في دوامة جرفتهم في خضم لا ساحـل له من الاتجـاهـات المشبـوهـة ومنها الميتافيزيقية وهى مذهب تعس يقـوم على شعـوذة تثـرثـر بها وراء الطبيعـة وإن أردت نماذج لها فاقـرأ ديوان صلاح عبدالصبور (أقول لكم) واقرأ شعر أدونيس ويوسف الخال .

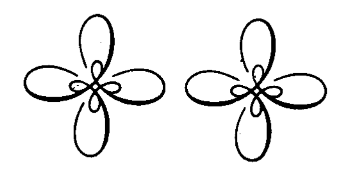
وهنـاك الاتجـاه الفـرويـدى وهـو اتجاه همجى يردُّ كلّ الحياة للجنس ولعلّ نزار

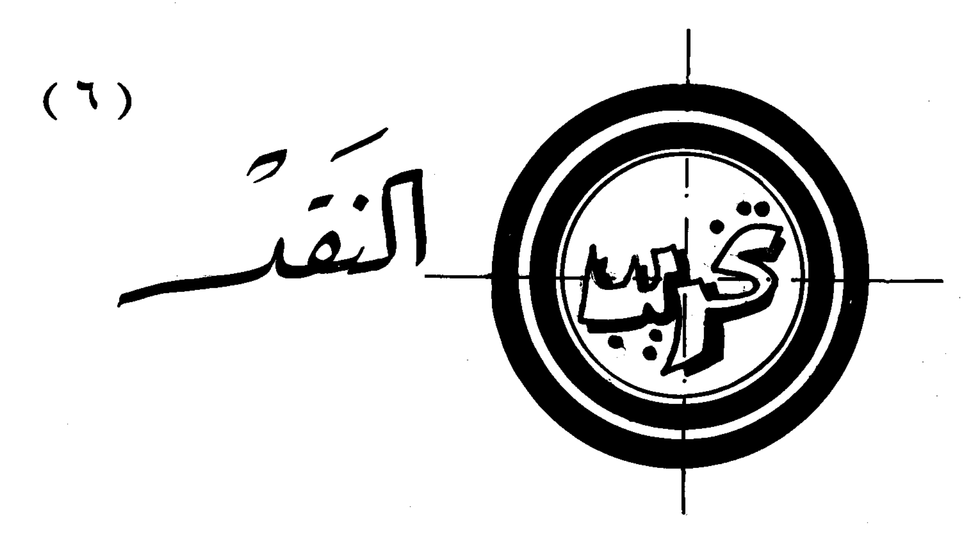
القباني كان زعيمه غير مدافع إلى عام ١٩٦٧م حيث صَعِد نزارَ من حمأة الجنس ليرى النور ويلامس هموم قومه قليلاً .

ثم كان أزيزٌ شرسٌ لم نعد ندرك معه طريق الهداية حين هاجرت إلينا كلُّ أخابيث الغرب التومائية والسيريالية والوجودية والليبرالية واليونجية والإيهاجيَّة والبرناسية والفن للفن والتجريدية وهلمَّ جرّا .

هذه المذاهب كان لها فعل السحر في إثخان أدبنا لأنها أنْسَتْ أدباءَنا ونحنُ في وسط الهزيمة ونار الاستعمار والصهيونية أنستهم نماذج الجهاد والفداء والتضحيات وروائعَ البطولات في سلفنا وتاريخنا وبدّلتنا بهم تلك النماذج الداعرة الشاذّة من أدباء أوروبا . وأهمُّ ما ركّزت عليه تلك المذاهب أنْ تخفت في العرب صوت الرُّجولة وتمحو من ذاكرتهم اسم الجهاد في سبيل الله وقد أفلحت في ذلك حتى لقد قرأت نقداً لأدونيس في كتابه (زمن الشعر) ينتقد فيه محمود درويش الشاعر الفلسطيني الماركسي بأن شعره فيه رائحة الجهاد الكريهة في ذوق أدونيس .

وخلاصة القول أنَّ مذاهب الأوروبيين أوقعتنا في غزو فكري أنسانا به أبطالنا الغُرّ الميامين وغرر بنا فسَبَّحنا بمدح الفسق والشذوذ متمثلين في معظم أدباء أوروبا وبذلك أضرَّ أهل الحداثة عقولنا بأكثر مما قتل به جنكيز خان أجسادنا وفي الحقّ أن كثيراً من دعاتنا الذين أورثونا أفكاراً هدامة كانُوا أخطر من الجيوش المغولية والصليبية .





النقد أستاذ الأدب يوجِّهـهُ نحـو السمُـوّ يهديـهْ طريق الإبـداع ويرسم له من مناهج البلاغة ما يرقى به إلى مستوى الآداب العالميَّة . وهذا النقد تحوَّل في أيامنا هذه ببركة لحداثيين إلى طلاسم لا تفهم وما فهمناه منها وحللناه وجدناه كالغراب يدلُّ على الـرَّبـع الخراب . وهنا أقول بصراحة وأبوَّةٍ لأهل الحداثة العَرَب : إنَّ النقد الأدبيَّ سوف يحاسبكم بين يدى الله لأنكم بدلاً من أن تسمـوا به نحـو الأفضـل طحتُم به إلى الدرك الأسفل فأصبح النقد لدينا من أفتك أسلحة التضليل .

إن الحـداثيـين مسئـولـون عن تخريب النقد الأدبي فقد نقلوا إلينا بدون تحفُّظ طرائق الأجـانب في النقـد وكـان نقلهم غير مسئول ولا مُخلص ولا ذكيّ . إن من يطالع كتاباً في النقد الأدبي الحديث يصيبهُ إحساسٌ بخَيبة أملٍ . حين يرى أنه نقـد لا يصلح لطبيعتنـا ولا يمكنُ تطبيقـهُ على أدبنـا . ولا أرى تفسيراً لغموض العبـارات النقـديـة في النقـد الحـديث إلَّا أنه يعمّى على السموم التى يدُسُّها في معين أدبنا .

وإنى ذاكـرٌ هنـا بعض العبـارات النقـديـة ليعْـذرنـا القُـرَّاء فيـما أسندناه إلى الحداثيين من تهمة . من مقال لشوقى أبو شقرا نشره قديماً في مجلة (شِعْر) المشبوهة يقـول هذا الحـداثي القـوميُّ السوري : (إنَّ الشعر هو فعل اللقط والتوهم . إنه فعـلُ العـلاقـة الخطـرة ، إنـه الجلسة اللغوية الشعرية المصيبة) ونحنُ نقول لهذا المصيبة : أن شعرنا كما فهمناه واستمتعنا به عبر التاريخ هو فكر شريف تجيش به

الصدور فينطلق على الألسنة لفظاً شريفاً ساحر العذوبة .

وهـذه عبـارة نقـديـة أخرى للشاعر القومي السُّوري أنسى الحاج من مقالتين نشرهما في مجلة شعر في العددين ٣٠ ، ٣١ :

(الشعـر ضد اللغـة . ضدُّ الألفـاظ . لحسـاب الحـروف . فالشاعر يهدي على إحـدى طرق الـدادئيـين . ينـافق لبيـاض الصفحـة . يتـلاعب بإمكـانـات الطباعة .) (أعوذ بالله من الشياطين) .

ويقـول يوسف الخـال الشـاعر القومي السُّوري : (أريد أن أعبث باللغة مدة عشرين سنة كردّ فعلٍ على عبث أسلافنا بلغتنا لمدة ألف عام .) حسبنا الله على هذا الكنود الذي يتهم أسلافنا العلماء الأدباء الأخيار بأنهم كانوا يعبثون باللغة .

ونحنُ هنا في الشرق العربي الإسلامي نعاني من هزائم أخلاقية أفيليق بأمتنا أن تزيـد مهـازلها ومآسيها بتقليد أعمى لكلّ طريقة شيطانية . وإذا كان أبو شقرا والخال وأنسي الحاج قد عُرفوا من نشأتهم بعبادتهم لأنطون سعادة فكيف ينبرى من أمتنا مسلمون ينتمون إلى شرف الإسلام ليصغوا إلى أفكار هؤلاء وينشرونها بين أبناء أمتهم ليُرْدُوهمْ وليلبسوا عليهم دينهم وهم في أمس الحاجة إلى الدين والأخلاق .

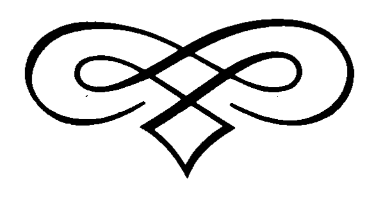
لقـد كانت أمتنـا عبر تاريخهـا ربما تُهزم لكنها تظلَ قائمةَ على الحق منتصرة به وبأخـلاقهـا ثم لا تلبث أن يتجلى وجهها مشرقاً بالنور والأمل وبالأخلاَق والدين وإذا هي كالسيف حين يخرج من نار الصقـال . وذلـك لأن أخـلاق أمتنا القرآنية كانت أعظم سلاح لها في شدائـدهـا يزوّدهـا بطـاقات ربّانية لا تنهضُ لها أسلحة الأعـداء . ثمّ لا تلبث أسلحـة الكفـر أن تتحطم على صخرة الإيمان والأخلاق والوحدة الإسلامية .

(وبعـد) فهـذا سؤال كبير أوجهه إلى كلِّ شاعر مسلم وأديب مسلم من أهل الحداثة : إلى متى يا أيها الإخوة يظل أعداؤنا معبوداتٍ لنا ؟؟ وإلى متى نركض وراء الشخصيـات المـريبـة التى أطعَنـاهـا حقبـة من الـزمن فجرّت علينـا عار الهـزيمـة ؟؟ ألم يأن للذين آمنـوا أن يصفعـوا تلك النماذج المتآمره التى يقدمها لنا

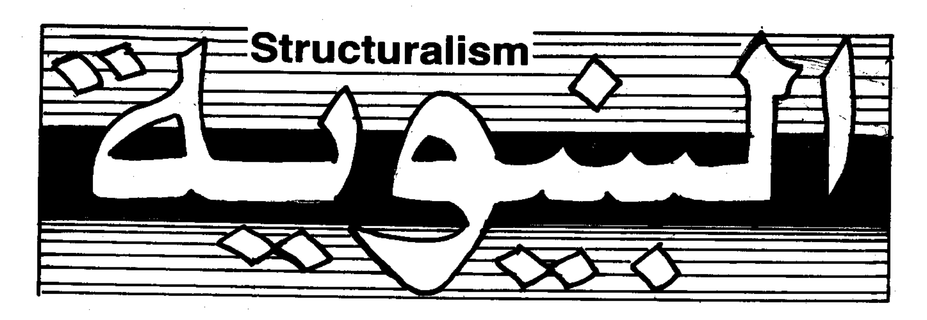
المنـافقـون واليهـود والصليبيون فنقبل عليها بنهم ؟ أما آن أن نستبدل بها مُقوماتنا الإيمانية التى جعلتنا خير أمة أُخرجت للناس ؟

في هذه الأيّـام يحاول بعض أنصـار الحـداثة أن يدخل على نقدنا وأدبنا مذْهباً نقـديّـا جديـداً . كأننـا في حاجـة إلى مذاهب جديدة تزيدنا حيرة وفوضى هذا المـذهب الأوروبي الجـديـد اسمه (البُنيَويَّة) وقد رأيت أن أقف عنده وقفة متأنّية لأنّـه جديـد ولكـلّ جديد لَذَّة . هذا المذهب يتبناه الآن في المملكة شابٌّ دءوب مجتهد له طموحات شريفة بدأت تؤتى ثمارها البالغة إنه الدكتور عبدالله الغذامي أحد أساتذة النقد بجامعة الملك عبدالعزيز في جدّه وإذا كنت أدلى له بمعلوماتى حول هذا المـذهب فحـاشـا أن يكـون ذلـك تطـاولاً على معلوماته الغزيرة لكَنَّه إضافة على هامش معلوماته في هذا الفَنّ وتحذيرٌ في الوقت نفسه من مزالقه .

وما أشك أن اندفاع الغذّامي مع البنيوية إنما هو منطلق حماسته ألاّ يحرم بلاده من الفكـر الجـديـد . ولكن حين يكـون هذا الجـديـد مشبـوهـاً فإذ ذاك تصبـح النصيحة فرضاً لمن أراد ذلك التجديد عن حسن قصد .







يقول الدكتور الغذامي في كتابه (الخطيئة والتكفير) في الصفحة ٣١ بعد أن عرض للتداخل في الآراء والنظريات التى تكتنف البنيوية : (لعلّ هذا التداخل المعقد هو الذى جعل تعريف البنيوية أمراً صعب التحديد حتى بدت البنيوية وكأنّها تصور ذهنى يستحيل تبيانه . وبالفعل لم يستطع الدكتور الغذّامى ولن يستطيع هو ولا غيره أن يقدّم تعريفاً موجزاً شاملاً للبنيوية .

ولكنَّ الذى فهمته بمعلوماتى القليلة عن البنيوية : أنهّا مذهب نقديٌّ أدبيّ معاصر يَعتبر أنَّ أهمَّ ما في العمل الأدبي هو البنية (أي الألفاظ) ويرى أنَّ دراسة العمل الأدبي دراسة نقديَّة تتطلب تفكيك جزيئات النصّ أوتشريحها (على رأى الدكتور الغذامي) أوتحطيمها إلى ذرات كي يتمكَّن الناقد من إدراك (العلاقات) بين ذرات النّصِّ وجزيئاته . والحقُّ أن تعريفي هذا لا يخلو من نقص لكنه على أى حال تقريبيٌّ للتسهيل .

وقد اكتنفت للبنيوية عدةُ نظريات ساهمت في تكوينها وكانت روافدَ لها وهي النظرية الألسنيَّة والمدرسة الشكلية الروسية ونظرية الإشارات (السيميولوجيا) والتشريحيّة التى أسميها التفكيكية أو التحطيمية ولعلّها هي نظرية الإشارات أو مرادفتها .

وقد قام الاستاذ الغذامي بجهد مضنٍ حقاً حين تكلَّف تطبيق النظرية البنوية على أدبنا (في شعر حمزة شحاتة رحمه الله) والحقُّ أن ذلك التطبيق جاء متكلَّفاً ومرهقاً وغير مفهوم .

وقد كان من روّاد البنيوية عدد كبيرٌ من رجال الفكر الأدبي الروسيين والانجليز

والأمـريكـان واليهود والحقُّ أن البنيوية مذهب مَحْظوظ لأن كلَّ المذاهب من قبلها كانت تتعـرض للصـراعات السياسية فما يرضى عنه الروس لا يرضى عنه الغرب إلا البنيـويـة فإن المستعـرض لروادهـا يرى منهم الماركسيين والغربيين والماسونيين واليهـود وهـو إجمـاعٌ رابني حقًّـا لأن هؤلاء لا يجتمعـون على خير . لقد حظيت البنيوية بعدد كبير من الدعاة والرواد منهم رُومان جاكوبْسن زعيم النقد الألسني ونظرية الاتصالَ والبنيوية ومنهم ليفي شتراوس وهو الذى ربط البنيوية بالأساطير ومنهم تودوروف وهـوروسي ومن زعـمائهم النـاقـد السـويسـرى دى سوسير وهو صاحب مصطلحـات عقيمـة كالتعـاقبيـة وقطب الدال وقطب المدلول . ومع أن الـدال والمـدلول هما اللفظ والمعنى لكن التعقيد صناعة . ومنهم بياجيه الفرنسى الـذى عرَّف البنيـوية أنها تتقمص شخصيات ثلاث الشمولية والتحول والتحكم الـذاتي ومنهم دوكروت الـذي كتب عن الصـوتيم ، ومنهم بروب الـذى قال إنَّ للصوتيم إحدى وثلاثين وظيفة ، ومن أشهرهـم رولان بارت ومنهم درّيدا وليش ولاكان .

وقد رابني في البنيوية هذا الغموض الرهيب في مصطلحاتها فقد أزعجتني تلك المصطلحات بكثرتها وغموضها والغموض لا ينبعث إلاَّ من مواطن الريبة ، وقديماً قال الشاعر :

والسترُ دون الفاحشات ولا يلقاك دون الخير من ستر

ولكي يلمس القـارىء كثـرة هذه المصطلحات وعقمها وعدم جدواها في النقد الأدبي العربي أورد بعضاً مما يرد على السنتهم مما لا يمكن أن يستفيد منه شعرنا العربي لأنه سفسطة .

الشفرة . والعمل المغلق . والعمل المنقح والصوتيم . التعارض الثنائى . الفحص الاستبـدالي . العـلاقـات والإشـاوات والـرمـوز . اعتباطية الإشارة . المـدلول المنزلق . والدَّالُّ العائم . الاجبار الركني . التوازن الانعكاسي . حالة النحن . كسر النمط . الكتابة الصفر . الأمامية . الحركة الفاعلة . التجاوز . التـوازن . هذا كثـير من قليـل من مصطلحـات البنيـويـة ورصيفـاتهـا الألسنية

والسيميولوجيه والشكلية ونظرية الاتصال وغيرها .

هذا إلى جانب صعوبة الجمل النقدية في هذا المذهب العقيم واكتفي بإيراد عبارات ضئيلة ليَعذُرنا الناس إذا نحن هاجمنا هذه المذاهب التى لا تعني أدبنا في كثير ولا قليل . وسوف يلاحظ القارىء أن الكلام غير مفهوم ثم أنه لا يفيد شعراءنا .

العبارة الأولى ١ ـ التحليل البنيوى يتطلب فحصاً دقيقاً لعلاقات التأليف وما فيها من إمكانيات التجاوز وهذا مكسب نقديٌّ استمدته البنيوية من الألسنيَّة أخذا بمفهوم التعارض الثنائى .

العبارة الثانية ٢ ـ يحتفظ بارتْ بمفهوم اعتباطية الإشارة في حين يقسمه سوسير الى اعتباط نسبي واعتباط تام .

العبارة الثالثة ٣ ـ إنّ البنية الشاملة للغة هي بنية لا شعورية وهي تشبه إلى حدٍّ كبير حالة الحلم حيث يكون الفعل الدال بينما المدلول في حكم التفسير أو شيء طائر . وبذا يحرر لا كان الدالّ من قيد المدلول ويكون لدينا عندئذ مدلول ينزلق ودالٍّ يعوم .

إنّ أقلَّ ما يمكنُ أن يُقال في هذه العبارات إنها جناية على النقد وعلى الشعر معاً كما أنها دليلٌ على عدم احترام مؤلفيها لمشاعر الناس وإلا فكيف يكتبون للمثقفين شيئاً لا يفيد ولاُ يفهم ولا يلزم .

وثمَّة ملاحظة مُهّمة لا بدّ أن أصارح القارئين بها تصريحاً لا تلميحاً وهي : أن النُّقاد العرب المتصدرين للدراسات البنيوية ما عدا الدكتور الغذامي الذي أعرفه جيداً وأعرف سلامة معتقده وحبه لوطنه وأمته . أقول إن البنيويين الذين وصلتني أخبارهم هم جميعاً بين منتمٍ إلى الحزب القومي السُّورى أومنتمٍ إلى الماركسية وهم متعارفون ويطبّل بعضهم لبعض ليأخذونا بالصوت . أسمع عن بنيوى من أعرف الناس بالبنيوية اسمه د. كمال أبو ديب وهو سورى يعمل الآن أستاذاً للنقد في إحدى الجامعات العربيّة ألَّف هذا الدكتور كتاباً هائل الحجم

سماه (البيئة الإيقاعية) وهو كتاب في مجموعه أجوف لا فائدة منه لمن يريد أن يحسّن مستواه الشعرى هذا الكتاب تلقفه أدونيس ليكتب له مقدّمة حماسية مجنونة حتى لقد تساءَل قائلاً وهو يذكر الكتاب (اليست هذه ثورةً كوبرنيكية يعنى بذلك أن كتاب زميله د. كمال أبو ديب فتح من آفاق الحضارة ما فتحه كوبر نيكس في عالم الفلك وكروية الارض وغير ذلك من معلومات) وأدونيس كما هو معلوم هو أعرق أعضاء الحزب القومي السُّورى الذى يبني فلسفته على نظرية مجرمة خلاصتها أن سوريًا ليست عربية بل فينيقية وينادى بقوميَّة الهلال الخصيب . وعلى ذكر أدونيس قرأنا تحقيقاً معه في مجلة الجيش الجزائرى يقول من ضمن أشياء كثيرة (إن سورة مريم هي من أعظم أمثلة القصيدة النثرية . يقول هذا الكلام وقد قرأ يقيناً في القرآن الكريم قوله تعالى عن القرآن ﴿ وما هو بقول شاعر ﴾ .

وفي مصر نشأ أحد البنيويين واسمه الدكتور جابر عصفور رجع من أمريكا ودرّس النقد في إحدى جامعات مصر وكان قد عرف بأنه ماركسي فلما غضبت إحدى حكومات مصر على السياسة السوفياتية وطردت الخُبراء السوفييت أصبح مركز الرجل في حرج وهو الآن يدرس النقد في إحدى جامعات الوطن العربى . وقد اشتهرت دكتورة معروفة في لبنان وهي من الحزب القوميّ السورى اسمها خالدة سعيد أشتهرت بأنها من أخصائيات البنيوية ومن المعروف أن الحزب القوميّ السوريّ ظلّ خامد الأنفاس محظوراً على تعاقب الحكومات السورية واللبنانية فلما سادت لبنان الفوضى مدت أفعى هذا الحزب رأسها فرأيناه يشترى مدافع من عملاء الصهيونية وينصبها على مخيمات اللاجئين الفلسطنيين في بيروت ليشفي غليله من المسلمين .

وفي ختام هذا الفصل لا يفوتني أن أشير إلى محاولة الأستاذ الغذامي في إحدى محاضراته أن يطبق النقد البنيوى على أشعار خمسة من الشباب الناشئين منهم ثلاثة شباب وشابتان ، الشباب الثلاثة محمد جبر الحربي ومحمد الثبيتي وعبدالله الصيخان والشابتان هما خديجة العمرى وغيداء المنفى وجميعهم من المنتمين إلى الشعر الحرّ . وأشهدُ لقد بذل الدكتور الغذامي جُهْداً هائلاً لا ينكر وذهب في

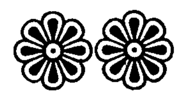
التـوضيـح بعيـداً حتى لقـد عَرَض خارطـةً توضيحية ورغم هذا علمت من أكابر الحضـور وذوى المستـويـات الرفيعة في الثقافة أنهم لم يستطيعوا فهم المحاضرة وثار بعـد المحـاضرة جدل شرَّق وغرَّب وكاد يصبح غوغائيا لولا أن وقف رئيس النادى ووعـد الجمهـور المجتمـع أن يخصص لقـاءً آخـر ووقتـاً أطـول لإكـمال ما بدأه المحـاضـر ، ومعذرة لأخينا وصديقنا الدكتور الغذَّامي الذى أعرف مستواه الرفيع في الخلق العلمى ومـا يتحلى به من أدب المنـاقشـة وعمق التجـربـة مؤكداً له أن اختلاف الرأى لا يفسد قضية الحبّ والتقدير .



البابُ الثاني



- أولاً ● النضوج الموسيقى
- ثانياً ● اقترانه بالحكمة والأخلاق
- ثالثاً ● المستوى الراقي لألفاظه (روعة الشكل)
- رابعاً ● تنوُّع الأغراض والموضوعات
- خامساً ● الصدقُ العاطفيُّ الذى يولّد الصُّوَر



★ شخصية أدبنا ★

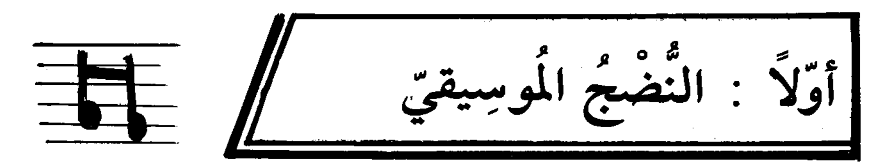
لكلّ أدب من الآداب العالمية القديمة والحديثة شخصية متميزة يحرص على استقلالها وتميُّز طابعها فالأدب اليوناني القديم مثلاً نشأ أسطورياً تسوده الملامح الخيالية وحروب الآلهة والأبطال والأدب الروماني نشأ ذا نزعة خطابية تتجلّى في الخطب الرّنانة لشرون وماركوس أنطونيوس وغيرهما ثم جاءت الآداب الحديثة فقلّدت في أول نشأتها أدب الإغريق والرومان ثم لم تلبث أن اتخذ كلٌ منها لنفسه شخصية مستقله لها مميزاتها وعناصرها .

وإذا تصوَّرنا أنَّ الشعر العربيّ خيمةٌ عظيمةٌ ذات عمود واحد وأطناب فإن العمود الواحد لخيمة أدبنا هو (الوزن) فإذا انهار الوزن من الشعر انهار كلُّ بناء القصيدة وخرج القول عن دائرة الشعر وطرد من ساحته وأعتبر صاحب الكلام غير الموزون أيّ شيء من الأدباء إلا شاعراً وإذا ظَلَّ يَدَّعي أنه شاعر وهو لا يعرف الوزن فهو عندئذ دعيٌّ في حَرَم الشعر وعلى حُرَّاس حوزة الأدب أن يخرجوه من ميدان الشعر .

هذا هو ما تعارف عليه علماء الأدب والعارفون بأصوله وشخصيته وهو أنَّ الوزن عمود الشعر قد تعارفوا على هذا الأمر المهم وأجْمعوا عليه من لدن أوّل العصر الجاهلي إلى منتصف القرن الحاليّ حين بدأت ريحنا تذهب بتخطيط الاستعمار وبدأت ثقتنا تضعف بأنفسنا وتراثنا . وأصالتنا تتحطم على صخرة الظلم الاستعماري والغزو الفكري . فرفع عندئذ دعاة الحداثة عقائرهم يصيحون إن الوزن قيد للتجربة وإن القافية عبْءٌ على الفكر وإنَّ التزام عمود الشعر يقف مسيرة الانفعال .

وأخيراً أعلنوا أن العروض لا لزوم له بل أمعنوا في التنكر لأدبنا ولغتنا فأعلن أدونيس أن اللغة نفسها قيدٌ على العاطفة ومن ثمّ فلا بدّ من التحرر من قيد القواعد واللجوء إلى العامية وإهمال النحو وبذلك تكشفت دعوتهم عن مخطط يعصف بلغة القرآن وتراث الإسلام ووحدة العرب وهنا أحبُّ أن أسرد في إيجاز

عناصر الشخصية في الشعر العربيّ مؤيداً كلَّ عنصر بنماذج ممتعة لكي يظل أهل الغيرة من الشعراء على صلة بهذه العناصر وحرص عليها فيقطّعوا بهذا حبائل المتربصين .



أوّلاً : النُّضْجُ المُوسِيقيّ

يعترف المطّلعون على الآداب ودارسو الأدب المقارن أن أنضج موسيقى يتمتع بها شعر عالمي هي موسيقى الشعر العربي . وهي موسيقى تقوم على الوزن الذى تحدّده التفعيلات كما تقوم على القوافي ذات الإيقاع المطرب وأخيراً تعتمد على الأنغام الخفية الناجمة عن عبقرية الشاعر في بناء الألفاظ وتنسيقها ورصفها . وإذا كان الوزن والقافية يشنفان الأسماع فإن الموسيقى الخفيَّة تشنِّفُ القلوب لأنها تصدر عادة عن ذوي المواهب الأصيلة في الشعر . والحقُّ أن القوافي أيضاً خدمت شعرنا لأنها سهَّلت حفظه وانتشارهُ والتمثُّل به في المجالس .

ومن أجل النضوج الإيقاعي والموسيقى في شعرنا صلح منذ القديم للغناء فكان سلوة الظاعنين في سكون الصحارى . بل لقد كان الشعراء يختمون أبياتهم بتنوين يقال له تنوين الترنُّم وهم يُنشدُون شعرهم غناءً بين أيدى الخلفاء كقول جرير في مطلع إحدى نقائضه :

أقلِّى اللومَ عاذِلَ والعتابا وقولي إن أصبتُ لقد أصاباً

وكان من الشعر العربي أراجيزُ وحُدائيات يحدون بها الإبل لينسوها بالموسيقى وعثاء السفر . وللإبل حاسة موسيقية دقيقة فإذا طرب الجمل حنَّ إلى ربوعه حيث في انتظاره العيسُ الجميلات ومن أقدم ما حفظ من حُداء الجاهلية :

دع المطايا تنسم الجنوبا
إنَّ لها لنبأً عجيباً
حنينُها وما اشتكت لغوبا
يشهد أن قد فارقت حبيبا

ما حملتْ إلا فَتًى كئيبا
لو تركَ الشوقُ لها قلوبا
إذن لآثُرنا بهنَّ النِّيبا
إن الغريبَ يُسْعِدُ الغريبَا

وبهذه الخاصة الموسيقية الغنائية الناضجة تنوعت أوزان شعرنا حتى بلغت العشرات وكان منها الأوزان الطويلة كالطويل البسيط وهي تصلح للإيقاع الهادىء وكان منها الأوزان المتوسطة كالوافر والكامل التى تصلح للإيقاعات الحماسية الصاخبة . وكان منها الأوزان القصيرة التى تصلح للأناشيد والدُّعابات . ومن المعروف أن الشعر الإسبانى نقل عن شعرنا القوافي وأنّ الشعر الانجليزى لا يتمتع بعشر معشار موسيقانا لأنه ليس له إلا وزنان رئيسيَّان وكان المفروض أن يقتبس الأجانب من شعرنا روعة موسيقاه لا أن ننقل نحن عن الأجانب بدائية موسيقاهم .



• ثانياً : •



اقترانه بالحكمة والأدب

من أهم عناصر الشعر العربي أنه نشَأَ أدباً ، ومضَى عبر القرون أدباً ، ومن أجل ذلك كان العرب يتسابقون إلى حفظ الشعر ودرايته ، ويؤدّبون أبناءَهم بحفظه وروايته . وكانوا يرددونه أثناء المعارك والمواقف الحاسمة . وقد اعترف معاوية رضى الله عنه أنه همّ بالفرار يوم صفين فلما ردَّدَ أبياتاً لعمرو بن الأطنابة الخزرجي ثبت في الساحة وطرد شبح الفرار وهذ الأبيات التي منها البيت الشهير

وقَوْلي كُلَّما جَشَأَت وجَاشَتْ   مكانكِ تُحمدي أو تستريحي

ولعلّ من أكره أنواع الشعر وأغراضه شِعْرَ المدح ولكنَّ الشعراء الأصلاء كانوا يجملونه بالحكمة فتُقبل عليه الأذواق بشغف عظيم وذلك لأن الحكمة حين تنطلق من الإحساس المنفعل والعواطف الصادقة تزول عنها الوعظيَّةُ المباشرة والتعليميَّةُ

الجـافـه ، وتلبس ثوبـاً جميـلاً من نبـل المشـاعر ولطف المأخذ . وهذان نموذجان كلاهما من شعر المدح قيلا قبل ألفٍ وأربعمائةٍ وخمسين عاماً ومع ذلك رسما لأهل الطموح الشريف طريق الفضائل طول هذه الأحقاب .

يقول زهير :

وفيهــم مقــاماتٌ حســانٌ وجوهُهــا
وأنــديةٌ ينتـابهُا القــولُ والفعـلُ

وإن جـئـتَهم ألفـيتَ حـولَ بيوتهـمْ
مجـالسَ قـد يشْفـى بأحلامهــا الجهـلُ

علــى مكثريهـــم رزقُ مـــن يعتريهـــمُ
وعنـــد المقلّيـــن السمــاحةُ والبذلُ

فمــا كـــان منْ خيــر أتــوْهُ فإنَمَا
تــوارثَهُ آبــاءُ آبــائهم قبــلُ

وهــل يُنبِــتُ الخَطِّــيَّ إلا وشيجُهُ
وتُغْــرسُ إلا فــي منــابتِها النخــلُ

وأما نموذَج الحطيئة فهو أيضاً في المدح وفيه يقول :

أقلُّـــوا عليهـــمْ لا أبـــا لأبيكـمُ
من اللـــوم أو سُدُّوا المكان الذي سَدُّوا

أولئـك قــومٌ إن بَنَوْا أحْسَنــوا البُنَى
وإن عـــاهدوا أوفَوْا وإن عقــدوا شَدُّوا

وإن كـــانت النُّعمـــى عليهم جَزَوْا بها
وإن أُنعمـــوا لا كدَّروهـــا ولا كـــدُّوا

مَطــاعينُ في الهَيْجــا مكاشيفُ للدُّجى
بنَـــى لهــمُ آبــاؤُهمْ وبنَى الجدُّ

بلْ إن الحطيئة كان وهو يهجو ينثر درر الحكم في نظم هجائه ولنستمع إليه وهو

يقول في الهجاء :

لما بدا لـــيَ منكُـــم غَيْبُ[1] أنفسكمُ
ولــم أجــد لجــراحي منكُـــم آســـي

أزعمـــت يـــأساً مُبينـــاً من نوالكمُ
ولــنْ تـــرى طـــارداً للحُـــرِّ كالياس

دع المكـــارمَ لا تـــرحلْ لُبغيتهـــا
واقعُـــدْ فإنـــك أنت الطـــاعمُ الكاسي

مـــن يْفعـلِ الخيــر لا يَعْدَمْ جَوازيَه
لا يـــذهبُ العُـــرْفُ بيـــنَ الله والناسِ

فانظـر إلى الحكمـة الرائعة في الشطـر الثـاني من البيت الثـاني وإلى الرائعة الأخرى في البيت الأخير لترى كيف كان شعرنا يتدفق بالحكمة حتى في المدح والهجاء .

ولا شك أن فُرسان حلبة الحكمة في شعرنا هم أبو الطيب وأبو تمام وأبو العلاء وشوقي ويكفي أن نورد لكل واحد منهم نموذجاً قصيراً كعِّينة من منجمه النفّيس .

يقول أبو الطيب :

ومن نكـد الدُّنيـا علـى الحُرِّ أن يرى
عـــدوًّا لــه مـــا من صـــداقته بـــدُّ

وأعْـــرقُ خلـــق الله في الـذلِّ أمّـــةٌ
تُضـــامُ ومنهـا للذى ضـــامها جُنـدُ

ويقول أبو تمّام في الصديق المهذب :

مـــن لـــي بـــإنســـانٍ إذا أغضبتُـــه
وجهلـــتُ كـــان الحلـــمُ ردَّ جوابِه

---

(١) يقرؤها البعض عيبُ وما أوردنا أبلغ ومعناه ما تخفونه من أخلاق نفوسكم .

وتــــراه يُصغــــي للحديــــثِ بسمعــه

وبِقلْبِــــه ولعلّـــهُ أدرى بــــهِ

ومن حكم *أبي العلاء* :

ولمَّـــا رأيتُ الجهــل في الناسِ فاشياً

تجــــاهلتُ حتّـــى ظُـــنَّ أنّيَ جاهلُ

فـــوا حزنــاً كم يدّعى الفضــلَ ناقصٌ

ووا أسفــاً كَمْ يُظهــر النقــص فاضِلُ

ومن حكم شوقي رحمه الله :

ولا يبنـــــي الممـــــالك كالضحـــــايا

ولا يُـــــدني الحقـــــوقَ ولا يُحِـــقُّ

وللأوطـــــان فـــــي دم كـــــل حـــرٍّ

يـــــدٌ سلفـــــت ودَيـــــن مستحـــقّ

وللحـــــرية الحمـــــراء بــــــابٌ

بكــــــل يـــــدٍ مضـــرَّجة يـــدقُّ

ولعلك لو تلمَّست شعر الحكمة والأدب في الشعر العربي لوجدت أنَّ أكثرَ من نصف الشعـر العـربي ينتمي إلى هذا الباب وقد نظمت قصائد كاملة من شعرنا في الأدب والحكمة كقصيدة عمر بن الوردي وشعر صالح بن عبدالقدوس ونونية أبي الفتـح البستي وكثـير من قصـائـد الـبرعي اليماني . بل إن دواوين بأسرها لم تخرج عن موضـوع الأدب والحكمـة كالـديـوان المنسـوب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنـه وكـديـوان الشـافعي رحمـه الله وكـديـوان اللزوميـات لأبي العلاء المعري . على أنَّ مقاييس أدبنا لا تستسيغ أن تكون القصيدة كلُّها أدباً وحكمة لأن ذلـك يخرجهـا إلى الـوعظية التعليمية وترى أن تنثر الحكمة في أثناء القصائد مرتبطـة بعـاطفـة الشـاعـر كما يلاحـظ القارىء في دواوين أبي الطيب وأبي تمام والشريف الرضي وشوقي وعلي بن الجهم والقَّباني وأشجع السُّلَمي وغيرهـم .

هذا وفي شعـرنـا العـربي موضـوع كبـير وغـرض شعـرى نبيل ألا وهو الشعر

الإسـلامى وهـو شعـر كلُّه أدب وحكمة لأنه يدور حول مقاصد الإسلام العظيمة ومنـاهجـه المستقيمـة وتلك كلُّهـا آداب وأخلاق وحين يخوض الشعر الإسلامي سير الصحـابـة الكرام وبحار السيرة النبوية الشريفة تراهُ يعبق بشذا الحكمة لأن الـرسـول الكـريم ﷺ كان قدوة الـدنيـا في الفضـائل والمثل العليا . ولا غرو فهو صاحب الخلق العظيم الذي أعلن أنه إنما بُعث ليتمم مكارم الأخلاق . ولم أشأ أن أضرب أمثلة كثيرة من شعر الحكمة والمثل والأدب في شعرنا لأن هذا الموضوع بحر لا ساحل له ، وبحسبنا تلك النماذج العابرة التى أوردناها آنفاً .

★ ★ ★ ★



ثالثاً: المستوى الراقي للشكل (الألفاظ)

كانت لغة الشعر عبر العصور أرقى في مجموعها من لغة النثر الفنيّ . أجود اختياراً ونظماً وأجمل انتقاءً وتنسيقاً وأكثر التزاماً بالفصاحة والإشراق . وهذا ماجعل للشعر شعبيّة وجعله مستودعاً عظيماً لشواهد اللغة وأصولها وقواعدها وجعل شعرنا الأصيل حافظاً للغة على عكس شعر الحداثة الذى ينقص لغتنا من أطرافها كلَّ حين لأنه يستهين بالقواعد ولا يعبأ بالتراث ولا يبالي بالأغلاط . بل إن من شعراء الحداثة من يجاهر بأن انتقاء الألفاظ والتزام فصاحتها وصحتها لا يليق بشاعر الحداثة لأن في هذا قيداً يُقيّد تجاربه ومعاناته . ولهذا فإذا أردت أن تثبت شاعريتك عند هؤلاء القوم فأكثر من أخطاء اللغة لتثبت لأهل الحداثة أن صدق تجربتك قد صعق صحة الفاظك . إنَّ من يوازن بين ألفاظ الشعر وألفاظ النثر في أدبنا يلاحظ أنَّ ثمة بوناً شاسعاً فالشاعر بعد أن ينظم القصيدة يقوم بعملية نقد ذاتى لها ويحرص أشد الحرص ألَّا يتغاضى عن لفظة واحدة تنقُصُها الرصانةِ والجزالة وملاءمة الموضع . كان زهير بن أبي سلمى ينظم القصيدة ثم ينقحها ويعرضهُا على النقاد ثم لا يذيعها إلا بعد حول فلُقِّبت قصائده بذلك الحوليَّات . وإنك لتقرأ شعر المبدعين من الشعراء فلا تستطيع أن تستبدل لفظة بلفظة ولعلك لو قرأت هذا النموذج من شعر البحترى تدرك ما أعنيه بالمستوى الراقي لألفاظ الشعر .

تمشي فتحكم في القلوب بدلِّها
وتميس في ظلِّ الشبابِ وتخطُرُ
وتميل من لين الصِّبا فيقيمُها
قدٌّ يؤنّث تارةً ويُذكَّرُ

إنـــي وإن أظهـــرتُ بعــضَ بطــالتي

وتـــوهّم الواشـــون أنّي مُقَصّرُ

ليشـــوقني سحـــر العيـون المجتلى

ويهـــزني وردُ الخـــدود الأحمـــرُ

إنَّ من يقرأ هذه الأبيات يدرك لماذا قال النقاد في شعر البحتري (أراد البحتريُّ أن يشعُرَ فغنَّى) .

وأما النموذَجُ الثاني للشعر الذى تسحرك الفاظه فهو من نظم شرف الدين الأنصاري وكان شيخ شيوخ حماة . توفي بعد سقوط بغداد بست سنين .

رفقـــا بـــروحي فهـــي لـــكْ

العبـــدُ منـــك ومـــا ملـــكْ

مـــن فـــرَّ مـــن ذُلّ السُّـــؤال

فَعِـــزَّتـــي أن أســـألَـكْ

إن تحـــمِ عينـــي أن تـــراكَ

جعلـــتُ قلبـــي منزلـــكْ

إنـــي أغـــارُ إذا الأراكُ

دنـــا إليـــك وقبَّلـــكْ

ويروعنـــي مـــرُّ النسيـــم

إذا ثنـــاك ومَّيلـــكْ

مـــا أقبـــح الصّبـــر الجميـــل

بعـــاشقيـــكَ وأجمَلَـــكْ

وأما النموذَج الثالث فهو من شعر صفي الدين الحلّي زعيم شعراء عصر المماليك . والنموذج موسيقاه ظاهرية يشارك فيها البديع . والقصيدة طويلة جميع ألفاظها من قاموس الألفاظ الجميلة .

ورد الـــربيـعُ فمرحبـــاً بـــوروده

وبِنُـــور بهجتـــه ونَـــوْر وروده

وبِحُسْـــنِ منظــرِه وطيــبِ نسيمِه

وأنيـــقِ ملبَسِـــه ووشْـــي بُروده

فَصْـــل إذا افتخـــرَ الزمـانُ فإنّه

إنســـانُ مقلتـــه وَبْيـــتُ قصيدهِ

يـــا حبَّـذاَ أزهـــارُه وثِمـــارُه

ونَبـــاتُ نـــاجِمه وحـــبُّ حصيده

ولكي يدرك القــارىء مدى الخســارة التى حاقت بشعـرنــا العَرَبِيّ حين ترك شعراء الحداثة انتقاء الألفاظ وفصاحتها أُوردُ هذا النموذج من شعر الحداَثة ، وهو لزعيم ورائـد من أشهـر زعـماء الشعـر الحرّ وروّاده . ومع أننا نصَبناه بين ظهراينننا زعيـماً ورائـداً فقـد كان في فكـره عبـداً لشاعر انجليزى أمريكي كاثوليكي اسمه تى . إسْ . إليـوت . ويسميـه النقـاد العـرب عملاق الحداثة حتى ما منهم إلا مدحه وتأثر به مع أنه كان من أشد الناس احتقاراً للعرب وأدبهم ولا غرو فقد كان له أستـاذ ومـوجّه روحي اسمه عزرا باوند . كان يهوديا أمريكيا له أشعار متوسطة وكـان يلازمُ إليـوت ملازمـة ظله . وهـدفي من إيـراد هذا النموذج من شعر زعيم الحداثة في مصر أن توازن صورته اللفظية بالصور التى أوردناها من شعر الأصالة .

يقول صلاح عبد الصبور :

كان الإنسان الأفعى يَجْهد أن يلتفَّ على الإنسان الكُركيّ
فَمشى بينهما الإنسان الثعلب
عجباً !! زَورُ الإنسان الكركي في زور الإنسان الثعلبْ
نَزَل السوقَ الإنسانُ الكلْب
كي يفقأ عين الإنسان الثعلبْ
ويدوس دماغ الإنسان الأفعَى
واهتزَّ الشُوق بخطوات الإنسان الفهد

قد جاء ليبقر بطن الإنسان الكلب

ويمصَّ نخاع الإنسان الثعلب

ونحن نقول (اعوذ بالله من همزات الشياطين وتخريب المخربين







هذا العنصر المهم من عناصر شعرنا كان من أجمل وسائل التشويق لأنَّ النفس تسْأم الرتابة والتكرار . وتعشق التنويع والابتكار . إنّ الذى كرَّه الناس في شعر الحداثة أنه لا يكـاد يخرج عن موضـوع واحـد هو (الوجدانيات الممسوخة السَّاخرة) بينما شعرنا الأصيـــل مَعْـرِضٌ عبقـرى يرضي كلَّ نماذج الأذواق والمشـاعـر . يَسـرُّ ويشجِي ويضُحك ويبكي ويرسم بريشة العاطفة لوحات عبقريةً للحب والكره ، والرضا والسخـط ، والسُّـرور والحُزن . وتقرأ فيه ما تشتهي من أدب وحكمة ، ومن رثاء وهجـاء ، ومن غزل ونسيب ومن دعـابـة وعتـاب مما جعل لشعرنا شعبيَّةً وعشَّاقاً يحفظون منه آلاف الأبيات ويتمثلون به في المناسبات الملابسة للأغراض فيبعثون السـرور في منـاسبـة الفرح ويشيعون الصّبر في مواطن العزاء وينوّرون العقول في مواطن الحكمـة . وبـذلـك كان الشعـر الأصيـل روْحَ المجـالس وريحانها وغذاء القلوب وألحـانهـا ، وسـوق البـلاغـة وميدانها ولا أجاوز الحقيقة إذا قلت إننا منذ ابتلينـا بشعـر الحـداثة فقدنا بهجة المجالس وأنْسَ المُجالس (بضم الميم) وتحوَّلت أسـمارنـا العذبة عن مجانى الأدب إلى مجالب التعب . وإنى متحفٌ أسماع القرَّاء

بنماذج من تنوع الأغراض كمحطة استراحة .

فمن شعـر الأدب والحكمـة هذه القطعـة لأبي نواس وقـد جمعت إلى جانب الغرض النبيل السطوع الجميل :

أيـــامَنْ ليـــس لي منــه مجيرُ

بعفـــوكَ من عَـــذابك أستجيـــرُ

أنــا العبـــد المقـــرُّ بكلّ ذنبٍ

وأنـــتَ السيّد المـــولَى القـديرُ

فـــإنْ عذَّبتنـــي فبســـوء فعلـــي

وإن تغفـــرْ فـــأنت به جَديـــرُ

أفـــرُّ إليـــك مِنْكَ وأيـــنَ إلاَّ

إليـــكَ يفـــرُّ منـــك المستجيرُ

ومن شعـر الغـيرة الـدينيَّـةِ والـوطنيـة هذه المقطـوعـة لنصر بن سيّار وكان من رجـالات بنى أُمَيّـة في آخر عهد دولتهم وقد رأى تطاحن المسلمين فيما بينهم فقال هذه الأبيات الخالدة التى تستحق أن يخاطب بها العرب في هذه الأيّام :

مـــا بالُكــــم تلقحـــون الحرب بينكـمُ

كـــأنَّ أهـــلَ النُّهى[1] عن رأيكم عزبوا

وتتـــركون عـــدوًّا قـــد أظلّكـــمُ

بالخـــوف والقتـــل لا ديـــنٌ ولا أدبُ

قـــومٌ يدينـــون دينـــاً ما سمعـت به

مـــن الرَّســـول ولم تنـــزل بِه كتُبُ

فمـــن يكـــنْ ســـائلاً عن أصْلِ ملّتهمْ

فـــإنَّ دينهمـــو أن يُقتـــل العـــربُ

وهنـا نماذج لتنُّـوع الأغـراض في شعرنا مع سطوعه وإمتاعه في كل غَرَض وفي كل موضوع :

---

(١) العقول

فمن جيد الحكمة والأدب قول أبي نواس :

لا تفــرغُ النفــس من شُغــلٍ بدنيــاها
رأيتُهـــا لم ينلْهـــاَ مـنْ تمنَّــاها

إنـــا ننـــافسُ في دنيـــا مـــولِّيةٍ
ونحـــنُ قد نكتفـــي منهـــا بـــأدناها

حـــذّرتُكَ الكِبْـــرَ لا تعْلَـــق بميسمِه
فـــإنَّه مَلْبَـــسٌ نـــازعْتَـــه الله

إنـــي لأمقـــت نفســـي عند نخـــوتها(١)
فكيـــف آمـــنُ مقـــتَ الله إيّـــاها

يـــا راكب الـــذنبِ قد شَـابتْ مفارقُه
أمـــا تخـــاف مـــن الأيّام عقبـــاها

ومن نماذج المـديح وهـو الغرض الذي ينكره أهل الحداثة قول شوقي رحمه الله يرسم المُثُل العليا مقتبسة من أخلاق رسول الله ﷺ ومن سيرته :

فـــإذا سخـــوْتُ بلغـــتَ في الجـودِ المدى
وفعلـــتَ مـــالا تفْعَـــلُ الأنـــواءُ

وإذا عفـــوتَ فقـــادراً ومُقـــدراً
لا يستهيـــــنُ بعفـــوِك الجهـــــلاءُ

وإذا خطبـــــتَ فللمنـــــابر هِـــزَّةٌ
تعـــرو النـــديَّ وللقلـــوب بكـــاءُ

وإذا رحِمـــــــتَ فـــأنت أمٌّ أو أبٌّ
هـــذان فـــي الدُّنيـــا هُمَا الرحماءُ

وإذا أخـــذتَ العهـــدَ أو أُعطيتَـــه
فجميـــعُ عهـــدِك ذِمَّـــةٌ ووفـــاءُ

---

(١) غطرستها

ومن الفخر السّامي قول أبي الطيّب :

وغيـــرُ فـــؤادي للغـــواني مطيَّـــةٌ

وغيـــرُ بنـــاني للزُّجـــاج رِكـابُ

تركنـــا لأطـراف القنـــاَ كـــلَّ لـــذَّةٍ

فليـــس لنـــا إلا بِهِـــنَّ لِعَـــابُ

أعـــزُّ مكـــانٍ في الدنـــا سرجُ سابحٍ

وخيـــرُ جليـــس فـــي الزمـــان كتـابُ

ومن المشاركات الاجتماعية قول البوصيري رحمه الله وقد لاحظ أن معظم موظفي المالية كانوا من النصارى واليهود ورأى معظم موظفي الدولة ينهبون أموالها فكتب إلى الوزير بهذه الابيات :

نَقَـــدْتُ طـــوائفَ المستخـدمينـــا

فلـــمْ أَرَ منهـــمُ رجـــلاً أمينـــا

أمـــولايَ الوزيـــرَ غفَلـــتَ عمّـــاَ

يتـــمٌّ مـــن اللئـــام الكـــاتبينا

تنسَّـــكَ معشـــرُ منهـــمْ وعُـدُّوا

مـــن الزُّهـــادِ والمتنسِّكينـــا

ومـــا أخشـــى علـــى أمـــوال مصـــرٍ

ســـوى لـــصٍّ نسمّيـــه الأمينـــا

يقـــول القبـــط نحـــن ملـــوك مصرٍ

وإنّ المسلميـــن لغـــاصبونـــا

وقـــام بنـــا يهـــوديٌّ خبيـــثُ

يســـوم المسلميـــن أذًى وهونـــا

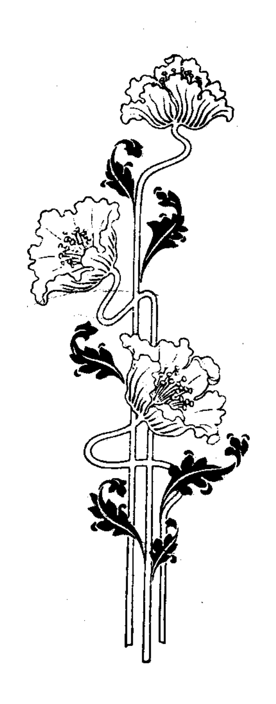
إذا ألقـــى بهـــا مـــوسى عصـــاه

تلَّقفَـــتِ القوافـــلَ والسَّفينـــا

وفـــي مـــال الحكـــومة أيُّ نهـــبٍ

فليتـــكَ لـــو نَهَبْـــتَ النـــاهبينا

وبالمناسبة فقد كان البوصيرى رحمه الله ظريفاً فيه نكتة كسائر المصريين مع أنهَّ أشتهـر ببردتـه في مدح رسـول الله ﷺ هي أشهـر شعرٍ مُدِح به النبىُّ الكريم ﷺ ولولا ما وقع فيها من مغالاةٍ تُطلُّ على الشركَ لكانت أشرف المدائح النبوّية .







كان شعرنا العربيُّ ينبجسُ من ينبوع العواطف الثَّرَّة وكانت تلك العواطفُ تجنح العبارات في شعرنا فتحولها صوراً فنية رائعة . وقد لازم الصدق العاطفيُّ المصوِّر شعرنا عبر التاريخ فكنا نستمتع في شعر المعلقات في الجاهلية وفي شعر العذريين في العصر الإسلامي . فلما جاء عصر بني العّباس شبت العواطف عن طوق الصحراء وخرجت الصور عن نطاق البداوة ، وأصبحت التصاوير العاطفية مترامية الآفاق . وفي العصر الحديث تدفقت العواطف من منطلق الوطنية والدين فحدث في الصور سمو ينطلق من شرف الحماسة الدينية والوطنية .

والحقُّ أن الصدق العاطفي هو البوتقة التى تصهر في حرارتها كلَّ عناصر القصيدة وبخاصة عنصر الخيال الذى يتأثر أكثر ما يتأثر بالعواطف المشبوبة . وذلك لأن العاطفة المشبوبة الصادقة لا يروي غليلها أن تقول للوطن أنت جميل وحدودك الجغرافية كذا وحاصلاتك عظيمة لكنها لا تكاد تذكر الوطن حتى تحوِّم في كلِّ آفاق الجمال والسمو والكمال والروعة والجلال والقداسة والبركة فتعود بحصيلة من الصور تشكل أورع لوحة فنّية لحبِّ الوطن . وإني مورد هنا إن شاء الله نماذج من الأشعار التى يَبْرز في خصائصها الصدقُ العاطفي :

فمن ذلك هذه الأبيات التى قالها شوقي رحمه الله وهو في منفاه بإسبانيا يتشوَّق فيها لمصر المصورة في ضميره :

يا ساريَ البرق يرمي عن جوانحنا

بعد الهدوء ويَهْمي عن مآقينا

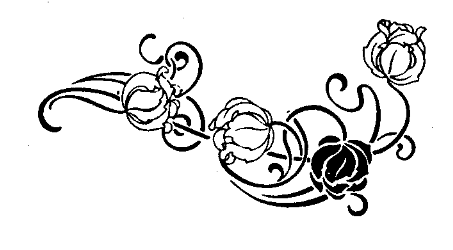
لمـــا ترقــرق في دمـــع السمـــاء دماً
هـــاج البكـــا فخضَبنـــا الأرض بـاكينا
الليـــل يشهـــد لم تهْتِكْ ستـــائره
علـــى نِيَـــامٍ ولـــم تهتــفْ بسالينا
والنجـــم لـــم يَرنـــا إلّا علـى قـــدمٍ
قيـــامَ ليـــل الهـــوى للعهـــد راعينا

ومن الشعر الذي يتجلّى فيه التصوير العاطفي قولُ ابن ميَّادة :

غـــداً تمطـــرُ العينان مـن حُرْقة النوى
ويبـــدو من النفـــس الكتـــوم ضميرُها
أيبصـــرُ عنـــدَ البيـنِ قُلبُك أمْ لَهُ
غـــداً طَيْـــرةٌ لا بــدّ أنه سيطيرُها

ومن الشعر الذى يتألق فيه وهج العاطفة قول ابن الدُّمينة :

أُميمـــةُ : في قلبـــي جِراحٌ وحُـــرقةٌ
وأنـــت لهـــا لـــو تعلميـــن طبيـــبُ
فلـــو أنّ مابي في الحصـــى فَلَق الحصـــا
وبالـــريح لـــم يُسْمَـــع لهُنَّ هبـــوبُ
ولـــو أن أنفـــاسي أصـــابت بحرِّهـــا
حديـــداً إذنْ ظـــلَّ الحديـــدُ يـــذوب
ولـــو أننـــي أستغفـــر الله كلَّمـــا
ذكـــرتك لـــم يكتـــبْ علـــيَّ ذنـــوب



الباب الثالث

الشعر الذي نتطلّع إليه

١ ـ القادر على التأثير في النفوس

٢ ـ المتألق الشكل والقالب

٣ ـ الخفيف الظّل والروح

٤ ـ المُجَمَّلُ بالبديع العفوي

٥ ـ ذو الطابــع القصصي

٦ ـ الموقد لجـذوة الحماســة

٧ ـ المعالج لمشكلاتنا الاجتماعية

٨ ـ المتحفظ بالموسيقى بأنواعها



دعوت مرةً شاعراً من الرياض من شعراء الحداثة ليلقي أمسية شعريَّة في نادى مكة المكـرَّمـة الأدبي فاعتـذر لي قائـلاً (إنَّ شعري غير منبري) وكان ذلك اعترافاً أنَّ شعره حين يُلْقى على مسامع الجماهير لا يؤثر فيهم .

والحقُّ أن معظم شعـر الحـداثـة لا يؤثـر في المستمعين لا لأنه خالٍ من الوزن والقـافيـة فحسب ، ولكنْ لأنه إلى جانب ذلك غامضٌ دخيلُ المضّمون والشكل ثم هو بعد ذلك لسانُه عربيٌّ مخلَّع وفكره أعجميٌّ مريب .

من أجـل ذلـك عقـدتُ هذا البـاب وأكثرت فيه من النماذج بين عمودي وحُرّ لأثبت أن الحرَّ يمكن أن يُهدَى فيهتدى ، ولأتيح للقارىء أن يستمع إلى مايمتعه من روائع الشعر بعد أن حرم منها زمناً طويلاً في صخب القصيدة النثرية المزَيَّفة .

ولقد استطلعت أذواق الكثيرين من المثقفين فتلوت عليهم النماذج ومنهم من أسـاتـذة الأدب في الجـامعـات من المشهود لهم بالذوق الأدبي الرفيع فأعجبوا بها فقلت إذن ليغضب العاذل أو يرضَ ما دام الحبيبُ جميلا .

وقديماً قال أبو الطيب رحمه الله :

وكـــا كمَدُ الحسَّـادِ شيءٌ قصـدته ولكنَّــه مَنْ يزْحم البحَـر يغـرقِ

أما من لا يعجبه أمثال هذه النماذج فأصدق ما ينطبق عليه هوقول أبي الطيب

نفسه :

وإذا خفيت على الغبيِّ فعَاذرٌ ... ألّا تــراني مقلَـةٌ عميـــاءُ

أوّلاً : القادر على التأثير

نريدُ شعراً حالّاً نقرؤه أو نسمعه (نحسُّ بتأثيره) ونتجاوب مع شاعره ونرى أنَّ الرجل عبّر عن قلوبنا وضمائرنا وقال ما نريدُ أن نقوله .

وقد يقول قائل إن الناس يختلفون في تأثرهم حسب أمزجتهم وثقافاتهم ومن ثمّ فهذا المقياس غير دقيق . وأقول إن هنالك قدراً مشتركاً بين كلِّ الإنسانية من العواطف المتشابهة فالعاشق في اليابان كالعاشق في الاسكا والثاكلة في مدغشقر كالثاكلة في جزر الهاواي ونحنُ نتطلع إلى شعر يؤثر في هذا القدر المشترك من مشاعر الإنسانية . لقد قرأت في الشعر الانجليزى قصيدة رثاء في محارب انجليزى اسمه السير جون مور يتحدث فيها الشاعر عن موتة المحارب الغريب وكيف خطَّ الجنود مضجعه بأطراف رماحهم قرأتها فذكرت حالاً قصيدة مالك بن الريب التميمى حين حضرته الوفاة وهو عائد من القتال قريباً من خُراسان فرثى نفسه بقصيدة في غاية التأثير يقول فيها مخاطباً صاحبيه .

وخُطَّــا بــأطــراف الأسنــة مضجعــي ... ورُدّا علـــى عينـــي فضــل ردائيـــا

خُـــذاني فُجـــرّاني بـــثوبي إليكمـــا ... فقـــد كنـــت قبـــل اليـــوم صعبـــاً قياديا

والحقُّ أن خاصّية التأثير القوي للشعر لا تنجم عن سبب واحد وإنما تشارك فيها كلُّ العناصر الفنية من عاطفة وتصوير وشكل ومضمون فتتعاون معاً لتجعله قادراً على أن يبكي ويسترقص ويقطّع نياط القلوب .

وهذه أبيات من قصيدة مالك بن الريب التى رثى بها نفسه أجزم أنها تؤثر في كلِّ إنسان عربيًّا كان أم أعجميًّا رومانسيًّا كان أوكلاسيكياً :

تذكــــرتُ مـــن يبكـــي علـــيَّ فلم أجـد
ســـوى السيـــف والـــرمح الردينيِّ باكيـــا
وأشقـــر محبـــوكٍ يجـــرُّ عِنـــانهُ
إلـــى المـــاء لم يـتركْ له الدَّهرُ ساقياَ
أيـــا صاحبيْ رحلـــي دنـــا الموتُ فأنزلا
بـــرابيةٍ إنـــي مقيـــمٌ ليـــاليَا
ولا تنسيَـــا عهـــدي خليـــليّ إننـــي
تَقطَّـــعُ أوصـــالي وتبلـــى عظـاميا
ألا ليـــتَ شعـــرى هل بكـــت أمُّ مالـكٍ
كمـــا كنـــتُ لـــو عالَـــوْا نَعِيَّكِ باكيا
فيـــا راكبـــا إمَّـــا عَرَضت (١) فبلِّغَنْ
بنـــي مالـــكٍ والـــريَّب أنْ لا تلاقيـــا
وسلـــم علـــى شيخـــيَّ منـــى كليهمـــا
وبلّغهمـــا أنـــي على العهـــد باقيـــا
وعطِّـــل قلـــوصي(٢) فـــي الرِّكـــاب فإنها
ستُبْـــرِدُ أكبـــاداً وتُبكِـــي بواكيا
وبالرَّمـــل منـــا نســـوة لو شهـــدنني
بكيْـــنَ وفدَّيـــنَ الطبيـــبَ المداويـــا
فمنهـــنَّ أمـــي وابنتـــاى وخـــالتـــي
وبـــاكيةٌ أُخـــرى تهيـــج البواكيـــا

والحقُّ أنَّـه ليس من السَّهـل على الشـاعـر أن يؤثر في مستمعيه لأن التأثير هو

---

(١) وصلت العارض . منطقة من نجـد

(٢) ناقتـي

عصارةُ جميع العناصر البديعة . والقارىء أو السّامع لا يتأثر باللفظ الركيك ولا بالمعنى السوقي حتى ولو صدر عن عاطفة قوية وقديماً سحر الناس من الشاعر الذي قال :

باض الهوى في فؤادي وفـرّخ التذكـارُ

لقد مرَّ عليّ في العام الماضي أكثر من عشرة دواوين جديدة لم أستطع أن أضُمَّ لمختارتي منها بيتاً واحداً وخصوصاً مما يسمونه الشعر المنثور وكنت إذا قسرت نفسي على قراءتها أحسست أني أتجرع كلوريد البوتاميوم .

وهنا يتيح لي السياق أن أهدي إلى القارىء هذه الطاقة الجميلة من أزهار الشعر المؤثر في وقت صوَّح فيه روض الأصالة وصمتت عنادلها .

يقول يزيد بن الطثرية في موقف وداع :

ولما وَقَفْنَا للرَّحيل جِمَالَنا
وجدَّ بنا وَجْدٌ وسالت مدامعُ
تَبَدَّتْ لنَا مذعورة من خبائها
وناظرُها باللؤلؤ الرَّطب دامعُ
أشارت بأطراف البنان وودعت
وقالت بعينيها : متى أنت راجعُ
فقلتُ لها والله ما من مسافر
يسيرُ فيدري ما به الله صانعُ
فشالت نقابَ الحُسْن عن حُرِّ وجهها
وسالت من الطَّرف الكحيلِ المدامعُ
وقالت : إلهي كُن عليه خليفةً
فيا ربِّ ما ضاعت لديك الودائعُ

ومن شعر العشاق العذريين كثيرٌ من هذه الألوان من الإبداع المؤثر كقول مجنون بنى عامر :

أراني إذا صليت يممت شطرها
بوجهي وإن كان المُصَلَّى ورائيا

أصلّـــي فمــا أدرى إذا مــا ذكرتهـــا
أثنتيـــن صليـــت الضحـــى أم ثمـانيا
ومـــا بـــي إشـــراكٌ ولكـــنّ حبَّهـــا
وطـــولَ الجـــوى أعيـا الطبيبَ المداويـا
يقـــولون ليلـــى بالعـــراق مـــريضةٌ
ويـــاليتني كنـــتُ الطبيـــب المداويـــا

وقول جميل :

أرى كـــلَّ معشـــوقين غيـــرى وغيـــرها
يلـــذَّان فـــي الدنيـــا ويلتقيـــان
أُصلّـــي فـــأبكي فـي الصـــلاة لذكرهـــا
لـــيَ الـــويلُ ممـــا يكتُـــب الملكانِ

وهذا نموذَج من الشعر الحرّ قرأته فأثّر في نفسي وهو للشاعر السُّوداني الذى نشأ وعـاش بمصـر محمـد مفتاح الفيتورى من قصيدة بعنوان (مذكرات حاجّ يخاطب فيها رسول الله ﷺ وقد سبق أنْ قلت إنَّ من الشعر الحرِّ ما يتسع له صدر الشِعر العربيّ :

يا سيّـــدي
عليك أفضلُ الســـلامْ
من أمـــةٍ مضاعـــه
خاسرةِ البضاعَهْ
تقذِفُها حضارة الخراب والظلام
يا سيـــدى
منذ رَدَمْنَا البحَر بالسدودْ
وانتصبتْ ما بيننا وبينكَ الحدودْ
مِتْنَا وداستْ فوقنا ماشيةُ اليهود

ولعلّ من أروع نماذِج الشعر المؤثر هذين البيتين لشاعر اسمه امرؤ القيس بن

عابس وكان يعشق فتاة من أبرع خلق الله جمالًا وأتمّهم أدباً وكمالًا وكانت تتظاهر أنها لا تأبه به حرصاً على سمعتها وضنًّا بكرامتها فمرض امرؤ القيس من الوجد مرضاً شديداً حتى أشرف على الموت وبلغ خبرُه الحبيبة فعطفت عليه وقالت في نفسها أزوره مع العائدات لعلّي أخفِفُ عنه واصطحبتْ بعض أترابها فدخلن عليه وقلن له هذه فلانة جاءت تسلّم عليك . فحاول الجلوس ولكنَّ المرض غلبه فدنت هي منه وسلّمت عليه وأظهرت نحوه شعوراً من الحنان والتعطف ولكن بعد فوات الأوان فنظر إليها نظرة جمعت كل معاني الأسى والسرور وأنشد

ولما رأتْني في النزاع تعطَّفَتْ
عليَّ وعندى من تعطُّفِها شُغْلُ
دَنَتْ وحياضُ الموت بيني وبينها
وجادتْ بوصلٍ حيث لا ينفعُ الوصلُ

ومن قبيل هذا الشعر المؤثر هذه المقطوعة من الغزل لجرير ومن العجيب أنها وردت في مطلع قصيدة هجاء هجا بها الأخطل .

بان الخليطُ ولو طووِعت ما بانا
وقطّعوا من حبال الوصل أقرانا
حيِّ المنازلَ إذ لا نبتغي بدلًا
بالدار داراً ولا الجيران جيرانا
لا بارك الله في الدنيا إذا انقطعت
أسباب دنياك من أسباب دنيانا
ياحبذا جبلُ الرَّيّان من جبلٍ
وحبذا ساكنُ الريان مَن كانا
وحبذا نفحاتٌ من يمانيَةٍ
تأتيك من قبل الرَّيان أحيانا
هبتْ سحيراً فذكرى ما ذكرتكمُ
عند الصفاةِ التى شرقيَّ حَوْرانا

إنَّ العيــــونَ التـــي في طرفهـــا حــورُ

قتلننـــا ثـــمَّ لــم يحيـيـــنَ قتلانـــا

يصــــرعنَ ذا اللـــبِّ حتـــى لا حــراك بـه

وهـــــنَّ أضعــــف خلـــق الله إنسانـــاَ

وهذه صرخة غنائية مؤثرة لابن زيدون :

متـــى أبُثُّـــكِ مــا بــي	يـــا راحتـــي يــا عـــذابي
متـــى ينــوبُ لســـاني	فـــي شـــرحه عـــن عتابي
يـــا سلـــوة المتعـــزّى	ومُنْيَـــــةَ المتصـــــابي
الشمـــسُ أنـــتِ تـــوارت	عـــن نـــاظرى بالحجـــابِ

ومن الأبيات المؤثرة هذه المقطوعة التى تصوَّر الذوق والعفاف في معاملة الجيران .

يقول العجير السَّلُولي :

يَبيـــنُ الجـــارُ حيـــنَ يبيـــنُ عنـــي

ولـــم تـــأنسْ إلـــيَّ كـــلابُ جـــاري

وتظعـــنُ جـــارتي مـــن جنـــب بيتـــي

ولـــم تُستَـــر بسِتـــر مـــن جـــدار

وتـــأمنُ أنْ أطـــالعَ حـــين آتـــي

عليهـــا وهـــي واضعـــة الخمـــار

كذلـــكَ هـــديُ آبـــائي قديمـــاً

تـــوارثه الكَبـــارُ عـــن الصغـــارَ





نريد شعراً متألق القالب والشكل

وتألُّقُ القالب لا يتأتى إلا لشاعر موهوب أوّلاً وخبير باللغة ثانياً نريد شعراً ألفاظه تامّة الخصائص بحيثُ يكون أبرز خصائصها أن تكسو المعاني حُلَّة متناسقة ملائمة لطبيعتها . تقرأها في النسيب كثوب الحرير المتموِّج وتقرأها في الشكوى رقراقة كالجدول الشفاف وتقرأها في مواطن الحماسة متفجّرة لها دويّ . نريد شعراً يقف عند مستوى رفيع في القالب لا يتدنّى عنه ولا نريد شعراً يحطب ألفاظه من كُناسة التعبير بين عامّية وحوشية ومبتذلة . نريد شكلاً تعبيريًّا أنيقاً نظيفاً يبدو فيه أثر الثقافة اللغوية العالية وأثر الموهبة الأصيلة الغزيرة . نريد شعراً يحوّل الحروف أنغاماً تداعبُ السمع فيدقُّ لها القلب . أمّا كيف يتأتى ذلك فالطريق لا شكَّ شائك لا يقوى على اعتسافه إلا أهل الأدب والدَّأب . إن أداة الفنّ الشعري لا تعطي مقاليدها إلّا شاعراً يتصرَّف في الألفاظ كأنها كثبان رملٍ على شاطيء عبقري يُشكل رملها كيف يَشاء . أما أن يأتيك إنسان لا يكاد يميّز الفاعل من المجرور فيدّعي أنه مُبدعٌ بمفهوم الحداثة فذلك شأن مَنْ سفهَ نفسه وجهل أدبه وارتضى أن يكون رابع الشعراء .

وهـذا هو الـداءُ الـوبيل الذى سرَى في كثير من أهل الحداثة إذ الجو النعبيري عنـدهم موبـوء بالأخطـاء وضـآلـة المـادة . وإني موردٌ هنـا نماذج لشعـراء قدامى ومحـدثـين ممن أُتـوا في قوالبهم موهبة عجيبة منهم البحتري من القدامى . وعلي محمود طه وإبراهيم ناجي ومحمود حسن اسماعيل ونزار من المحدثين .

من ذلك قولُ علي محمود طه من قصيدته (القمر العاشق)

إذا مـا طاف بالشـرفة ضوء القمـر المُضْنَى
ورفّ عليـك مثـلَ الحُكْم أو إشراقةِ المعنى
وأنـت على فـراشِ الطُّهرِ كالـزنبقة الوسْنَى
فضمـي جسمك الغـالي وصـوني ذلـك الحسنـا

ولعـل النمـوذج التـالي من شعـر الأخطـل الصغير من أصدق نماذج الموسيقى اللفظية الراقية .

نَصَـبَ الحُسـنُ عـرشَه فَسـألنا
مـن تَراهـا لـه فـدَلّ عليـكِ

فـاسكبي روحَـك الحنـون عليـه
كـانسكاب السمـاء فـي عينيـكِ

مـا تغنَّـى الهـزارُ إلا ليلقـي
نغمـات الجمـال فـي أُذنيـكِ

قتـل الـوردُ نفسـه حسـداً منـكِ
وألقـى دمـاه فـي وجنتيـك

والفراشـات ملَّـت الـزهر لمَّـا
حدثتهـا الأنـام عـن شفتيـك

سكـر الـروض سكـرةً صـرعْتهُ
عنـد مجـرى العبيـر من نهـديك

وانظر إلى هذه الأبيات الثلاثة للبحتري يفخر فيها بقومه وتأمّل على الأخصّ انسياب القافية

يَحسُـــنُ الذكـــرُ عَنهْــمُ والأحـاديثُ

إذا حـــدَّثَ الحـــديدُ الحـــديـــدا

فـــي مقـــام تخـــرُّ من ضنكـــه البيـض

علـــى البيـــض ركَّعـــاً وسجـــودا

فـــاذا المَحْـــلُ جـاء جـاءوا سيولاً

وإذا النّقـــع ثـــار ثـــاروا أســـودا

ومن نماذج ابـراهيم ناجى قولـه من قصيـدة الأطـلال وهي قصيـدة أوضـح خصائصها روعة الآلة التعبيرية .

يـــا حبيبـاً جئـــت يومـاً أيكَـهُ

طـــائرَ الشـــوق أغنـــي ألمـــي

لـــك إبطـــاءُ المـــدلِّ المنعـــم

وتجنّـــي الظـــالم المتحكـــم

وحنينـــي لـــكَ يكـــوي أضلعـــي

والثـــواني جمـــراتُ فـــي دمـــي

ومن الألفاظ الرائعة الإشراق ما نقرؤه في هذه الأبيات لمحمود حسن إسماعيل يخاطب بها النيل من قصيدته (النهر الخالد) .

سمعـــتُ فـــي شطِّـــك الجميـــلِ

مـــا قـــالت الـــريحُ للنخيـــلِ

يسبِّـــح الطيـــرُ أمْ يُغنـــي

ويشـــرحُ الشـــوق للخليـــلِ

وأغْصـــنٌ تلـــك أم صبـــايـا

شـــربنَ مـــن خمـــره الأصيـــلِ

ومن الومضات التعبيرية لنزار هذه الأبيات من قصيدته (أيظنُّ)

حمـــل الـــزهور إلَـــيَّ كيـف أردُّهُ

وصبـــايَ مـــرسومٌ علـــى شفتيـــه

خبّـــأت رأســــي عنـــده وكـــأنني
طفـــــلٌ أعـــــادوه إلـــى أبـــويه

ســـــامحته وســــألت عـــن أخبـــاره
وبكيـــــت ساعـــــات علـــى كتفيـــه

وبـــــدون أن أدرى تـــــركت لـــه يـــدي
لتنـــــام كـــــالعصفور بيــــن يـــديه



ثالثاً :
الخفيف الظل والروح

حين يكون الشاعر لطيفـاً خفيف الظـل والروح ينعكس لطفه وخفة روحه وظله في مرآة شعـره المجلوَّة وقـد ساءني في هذه الأيّـام أنَّ كثيراً من الشعر يعكس لصاحبه صورة كزَّة ثقيلة كأنها الكابوس الجاثم على صدر القارىء .

إننا نريد شعراً نلمس فيه خفة روح صاحبه وخفة روح موضوعه . نريدُ شعراً إذا قرأناه ارتسمت على الشفاه ابتسامة رضا وسرور وهذا لا يتأتى إلا إذا كان الشاعر لطيفاً بلا تكلُّف لأن التكلُّف للطف يجعله كالابتسامة المرة الصفراء .
والحقُّ أن معظم شعر الحداثة في هذه الأيّام لا يستطيع أن يرسم على الشفاه ابتسامة . لأنه يصدر في معظمه عن نفوس يلُفها سوادُ العبودية الفكرية وقد يقول قائلٌ : نحنُ في هذه الأيام إلى العزيمة الجادّة أحوج منا إلى الثغور الباسمة ونحنُ نقول ياليت شعر الحداثة دعانا إلى العزائم الجادّة المجاهدة . لقد كتب أدونيس نقداً للشاعر الفلسطيني محمود درويش أخذ فيه على شعره أن فيه رائحة لا يحبُّها ولا يرتاح إليها ألا وهي رائحة الجهاد . وسأعرض نماذج تقرؤها فتحس أن الشاعر جليسك يمتعك بظله الخفيف ومزاجه الظريف وروحه اللطيف يقول أحدهم في غادة بدت له في حلة خضراء :

بدت في قميص لها أخضَر
كما سترَ الوَرقُ الجلّنارة(١)
فقلت لها : ما اسم هذا اللباسِّ ؟
فقالت : نسّميه شَق المرارة

وهذه أبيات ذات تشبيهات عادية لا طرافة فيها لكن خفَّة روح الشاعر جعلتها ظريفة حلوة وهي لشاعر اسمه الخبز أرزي عباسيّ من نسل الحسن بن علي رضي الله عنهما :

رأيتُ الهلال ووجه الحبيب
فكاناً هلالينِ عند النَّظر
فلم أدر من حَيْرتي فيهما
هلالَ السما من هلال البشرْ
ولولا التَّوَرُّدُ في الوْجنتين
وما راعني من سواد الشَّعَر
لكنتُ أظُنُّ الهلال الحبيبَ
وكنت أظن الحبيبَ القمر

ومن أطـــرف الأبيـات التى تعكس خفـة دم الشـاعـر قول ابن مُسْلم يتغـزَّل بجارية سوداء وجْهُها كالفحم :

لام العـــواذل فـي ســـوداء فــاحمة
كـأنها من نفــيس المســـكِ تمثـــال

فقلـــت لا تعذلــوني إنَّ لــي نظــراً
فـي الحسـنِ والحســنُ ألوانٌ وأشكالُ

النـــاسُ تعشَـــقُ من خـــالٌ بـوجنته
فكيـــف بـي وحبيبــى (كُلُّــه خالُ)

واقرأ هذين البيتين من أحلى نماذج خفة الدم :

مَـــرَّتْ بحـــارس ِ بُستـــانٍ فقـــال لها
ســـرقْتِ رُمَّـــانَ هـــذا الصدّر من شجرى

فصـــاح في وجنتيهـــا الجُلنـــارُ(١) لقد
ظَلَمتَهـــا ، إنَّ هذا النَّهـــدَ من ثمرى

وقال شاعر يتغَزَّل في فتاة سودانيَّة كان على خدِّها شرطُ أي جرحُ بالمشراط للزينة :

بـــروحيَ مشروطـــاً على الخَـــدِّ أسمراً
وقـــد رقَّ لي بعـــد التجنُّـــب والسُّخْط

وقـــال : على اللْثـــم اشترطْنا فلا تزدْ
فقبَّلتُـــه الفـــاً على ذلك (الشَّـــرْطَ)

ومن الأبيـات التى نلمس فيهـا خِفَّـة ظلِّهـا مع أن بشَّـارا قائلها كان من أثقل الناس جُثَّةً :

يـــا حلـــوةَ القـــدِّ إنـــي لا أُسمّيـــكِ
لكـــنْ أكنـــيّ بأسمـــاءٍ وأعنيـــكِ

---

(١) زهرة الرُّمان

أخشـــى عليــك من الجـــارات حـــاسدةً
أوْ سَهْــمَ غيـــران يـــرميني ويـــرميك
يـــا أطيـــبَ النـــاس ريقـــاً غير مختبرَ
إلا شهـــادةَ أطـــــراف المســـــاويكِ
قـــد زُرتنـــا مرَّةً في العمــــر واحدةً
عُـــودي ولا تجعليهـــــا بيضـــةَ الـديكِ

وكان شعر البدو خفيفاً معظمه ومن ذلك ما قاله بدويٌّ اسمه منظور بن سحيم وقد خطب امرأةً فأرتْه نجومَ الظهر من شراستها فباع حماراً له وجُبَّة وافتدى نفسه منها وأنشد :

ذهبْـــتُ إلى الشيطـــان أخطـــبُ بنتَــه
فـــأوقعها مـــن شقـــوتي فـــي حباليـــا
فـــأنقذني منهـــا حمـــاري وجُبتـــي
جـــزى الله خيـــراً جُبتـــي وحمـــارياَ

ومن الطرائف الممتعة ذات الظّل الخفيف هذه الأبيات الغزلية التى توحى لك في النظرة الأولى أن المحبّ له ثأر عند حبيبه ومن ثَّم فهو يستعدي الريحَ أن تنتقم له من هذا الجميل المتحكم والأبيات للطغرائي من شعراء العصر العباسى الثاني :

بـــالله يـــا ريـــحُ إنْ مُكِّنْـــتِ ثانيةً
مـــن شَعْرِهـــا فأقيمي فيـــه واُستتـــري
وراقبـــي غفلـــةً منهـــا لتنتهـــزى
لـــي فُرصـــةً وهي في نـــومٍ فتنتصـــري
وبـــاكري عَـــذْب شَهـــدٍ منْ مُقَبّلِهاَ
يحلـــو به اللثـــمُ بيـنَ الطِّيبِ والخَصَرِ(١)

---

(١) البرودة والعذوبة

وإن قـــدرتِ علـــى تشـــويشِ طُرَّتهـــا

فشَوِّشيهـــا ولا تُبقـــي ولا تـــذري

وطَوِّفـــي حـــول نهْدَيْهـــا لتغتسلـــي

فـــي مـــوجة العطـــر بين الوِردِ والصَّدَرِ

ثـــم ادخلـــي بين ثوبيهـــا علـــى مَهَلٍ

وارويْ من الطيـــبِ وائتينـــي على قَدَرِ

ونبِّهينـــــيَ دون القـــوم وانتفضـــي

علـــيَّ والليـــلُ في شَـــكٍّ من السَّحَرِ

لعـــلَّ نفحـــةَ طِيـــبٍ مـــن معذّبتـــي

تشفـــي غليـــلَ محـــبٍّ دائـــم السَّهـرِ

ومن النماذج الطّريفة قول الشاعر :

لاح لـــي وجهُهـــا ببـــاب الطـــاقِ

ظبيَّـــةٌ مـــن مخـــدَّرات العـــراقِ

قلـــت مـــن أنـــتِ يـــا غـــزالُ فقالتْ

أنـــا مـــن لُطْـــفِ صنعـــةِ الخلَّاقِ

لا تَـــرُم وَصلَنـــا فهـــذا بنـــاني

قـــد صبغنـــاه مـــن دم العشـــاقِ

ومن الشعر الـذي يرسم الابتسامات هذه الرسالة الشعرية التي بعث بها البوصيريُّ رحمه الله إلى أحد الوزراء يشكو إليه كثرة العيال وقلة المال :

يـــا أيهـــا المـــولى الوزيرُ الـذي

أيـــامُهُ طـــائعةٌ أمْـــرَهْ

إليـــكَ نشكـــو حـــالَنا إنّنـا ـ

حاشـــاكَ ـ مـــن قـــوم أُولى عُسْرهْ

فـــي قِلَّـــةٍ نحـــنُ ولكـــنْ لنا

عائلـــةٌ فـــي غـــاية الكثْـــرهْ

إنْ شربـــوا البئـــرُ زيـــرٌ لهـم
والشُّربـــةُ الواحـــدةُ الجَـــره

وأَقبـــلَ العيـــدُ ومـــا عنـدهم
قمـــحٌ ولا خُبـــزٌ ولا فُطـــرهْ

يـــا ويلَهـــم إن عاينـــوا كعكـــةً
فـــي يـــدِ طفـــلٍ أو رأوا تَمْـــرهْ

تشخَـــصُ أبصـــارهمُ نحـــوَهـا
بِشهقـــةٍ تتبعهـــا زَفْـــرهْ

كـــم قـــائلٍ يـــا أبتـــا أعطِنـا
قَطعْـــتَ عنـــا الخيـــرَ بالمرّهْ

وأنـــت فـــي خـــدمة قـــومٍ فهـــلْ
تخـــدمُهم يـــا أبتـــي سُخْـــرهْ

وأمـــسِ زرات زوجتـــي أختهـــاَ
والأخـــت فـــي الغيـــرة كالضـــرَّهْ

وأقبلـــتْ تشكـــو لهـــا حـــالَها
وصبرَهـــا للعيشـــةِ المُـــرَّهْ

قـــالت لهـــا كيـــف تكون النِّســـا
كـــذا مـــع الأزواجِ يـــا عِـــرَّهْ

قـــومي اطلبـــي حقَّـــك منـــه بـــلا
تلكُّـــؤ منـــكِ ولا فتـــرهْ

وإن تـــأَبّي فخـــذى ذَقْنَـــهُ
ثـــم انتُفيهـــا شَعْـــرةً شعـــرهْ

قـــالتْ لهـــا .. ما هكـــذا عـــادتي
لأنَّ زوجـــي عنـــده ضَجْـــرهْ

أخـــافُ إن كلمتُـــه كِلْمـــةً
طلَّقنـــي . قـــالت لهـــا (بَعْرهْ)

وهـــوَّنت قـــدري فـي نَفْسِهـــا
فعـــادت الـــزوجةُ مُحْتَـــرَّهْ
وعـــربدت حــــولي فهـدّدتُهـــا
فاستقبلـــت رأســـى بـــآجُرَّهْ
ومــــن تكـــن حـــالتُه هـــذه
لينظـــر المـــولى لـــهُ نْظـرهْ

وقال بعضهم :

ســـألتُها قبلـــةً يومـــاً وقد نظـرتْ
شيبـــي وقد كنـــتُ ذا مـالٍ وذا نَعَمِ
فـــأعرضت ثـــم قـــالت وهـــي غـاضبةٌ
لا والـــذي خَلَـــقَ الأشياءَ من عَدَمِ
مـــا كـــان لي في بيـــاض الشيبِ من أربٍ
أفـــي الحيـــاةِ يكون القُطنُ حَشْوَ فمي

ومثله قول أبي الحسن الجزار يهجو زوجة أبيه :

تـــزوَّج الشيـــخُ أبـــي شيخـــةً
لـــيس لهـــاَ عْقـلٌ ولا ذِهْـــنُ
لـــو بـــرزت صـــورتها فـي الـــدُّجى
لخـــاف مـــن منظرهـــا الجـــنُّ
كـــأنها فـــي فـــرْشها مَيْتَـــةٌ
وشعرهـــا مـــن حولهُـــا قطـــنُ
وســـائلٍ يســـأل كـــم سِنُّهـــا
فقلـــت : مـــا فـــي فمهـــا ســـنُّ

وهذه طرفة في الهجاء من شعر أبي نواس تقرؤها فتحسُّ أنَّ صاحبها ظريف

أيا مَنْ سكراتُ الموتِ مـــن طلعتـــه أروحْ
فمـــا تصلـح أن تُهجَى ولا تصلـــحُ أنْ تمـدحْ
بلـــى تصلـح أن تُسجن أو تُصْلَـــبَ أو تُذبحْ

فيـــا ليتَك إن أمسيت لا تصحُـــو ولا تَصْبحْ
ويا ليتـــك في بحـــرٍ ومـــا تقدرُ أنْ تسبحْ

وللشـاعـر ابن دعلج تجربـةٌ مضحكة مبكية يمكن أن نسّميها (أعرابيٌّ غريم) ترسم صورة للبدوي حين يكون له دَيْن على إنسان ويبدو أنّ ابن دعلج كان يحبُّ بني تميم ويـراعي شئـونهم فلما لقي من الأعـرابي عنـاءً شديداً كتب الرقعة التالية وأرسلها الى أحد شيوخ بني تميم . وتبدو فيها خفة روح ابن دعلج :

إذا جئـــت الأميـــر فقـــل ســلامٌ
عليـــك ورحمـــة الله الـــرحيـمِ
وأمـــا بعـدَ ذاك فلـــي غـــريمٌ
مـــن الأعـــرابِ قُبّـــح مـــن غريمِ
يـــلازم كـــلّ يـــوم بـــاب داري
لـــزوم الكلـــب أصحابَ الرَّقـــيمِ
لـــه مـــائة علـــيَّ ونصـــف أُخرى
ونصـــف النصـــف فـــي صَـــكٍّ قديمِ
دراهـــمُ مـــا انتفعـــت بـهـا ولكـن
قـــريتُ بهـــا شيـــوخ بنـى تميـمِ

على أنَّ من الشعـر ما يكـون ظريفـاً وحكيماً معاً كقول دعبل الخزاعي يصف حال الرَّجل الكريم حين يُبتلى بتجهم إنسان ساقط فيكون الأمر كارثة :

ولـــو أنـــي بُليـــتُ بها شمـيّ
خئـــولته بنـــو عبـــد المـــدانِ
لهـــان علـــيَّ مـــا القـــى ولكـــنْ
تعـــالوا وانظـــروا بمـــن ابتـــلاني

ومن الشعر الطريف حول فائدة الشكوى للصديق :

شكـــوت إلـــى عمـــرو خفايـــا جـــوانحي
وجرَّعتـــه مـــن مُـــرّ مـــا أتجـرّع

وقـــد تنفـــع الشكـــوى إلى ذي مـــروءةٍ

يـــــواسيك أو يُسليــــــك أو يتــــــوجعُ

وللأحنف العكبري يصف حاله مع الأحلام :

وأحلـــمُ فـــي المنـــام بكـــلّ خيـرٍ

فــــــأصبـــــح لا أراه ولا يـــــــراني

ولــــو أبصـــرت شـــرًا فـــي منـــامى

تحقـــــق حُلْمنــــــا قبـــــل الأذانِ

وهذان بيتان فيهما ظرف وحكمةٌ معاً :

وأشـــــدّ مـــا ألقـــــاه من الجـــوى

قــــربُ الحبيــــب ومـــا إليه وصـــولُ

كالعيـــــس في البيـــــداء يقتلهـا الظمأ

والمـــــاء فـــوق ظهورهـــا محمـــولُ

ولبرهان الدين القيراطي يذكر الشعر البارد :

سئـــم الكـــرامِ الشعر غثًّـــا بارداً

إنّ احتقـــــار الغـــثّ ليـــس بعـــار

لـــم يسئمـــوا بذلَ العطـــاء وإنمـا

بـــــردَ النَّـــــدى لبـــــرودة الأشعـار

وهذه رسالة شعرية أرسل بها برهان الدين القيراطي إلى صديق متكبرّ يعلن فيها قطع العلاقات معه :

أخـــي والله قـــد ملـــىء الوطـــابُ(١)

وداخلنـــــــي بصحبتـــــك ارتيـــــابُ

رجـــوتُك مـــرَّةً وعتـــبتُ أُخـــرى

فمـــــا أجـــدى الرَّجـــاءُ ولا العتابُ

---

(١) سقاء اللبن .

نبـــذتَ مـــودّتى فـــاهنأْ بغيـــري
وآخِـــرُ عَهدِنـــا هذا الكتـــابُ

وقـريبٌ من هذا قول صقـر الشبيب رحمـه الله وكـان صقـر شاعراً يجمع لطف الروح والصراحة :

ولمـــاً لـــم أجدْ في النـــاس حُرًّا
يُعيـــنُ علـــى مُلمَّـــات الأمـــور

نبـــذتُ النـــاس ظِهريًّـــا ورائـــي
ونــــاديتُ المنــــونَ ألا فـــزوري

فمثلـــي مـــاله في النـــاس عيـــشٌ
وهـــل فـــي العيـــش خيـــرٌ للفقيـــر

أخـــاف إذا بقيـــتُ تـــذلُّ نفســـي
علـــى طمـــعٍ لـــذي مـــالٍ كثيـــرِ

فـــأمدحه مـــدائحيَ اللـــواتي
تعـــزُّ علـــى الفـــرزدق أو جـــريرِ

فيجـــزيني علـــى شعـــري شعيـــراً
ومـــا أنـــا في البغـــال ولا الحميـــرِ

ولكنّـــي (كمـــا سُمِّيـــتُ) صقـــرٌ
وهـــل أبصـــرتَّ ذُلاًّ فـــي الصقـــور

رابعاً : نريدُ شعراً يجمّلُهُ البديعُ العفويّ

★★★

إن التنكر للتراث البديعي يُفقد أدبنا عنصراً هامًّا من مقومات إمتاعه . لأن البديع بلا شك يجمل الكلام ويُحَلّيه . على ألاّ يُغْرق الشعراء في البديع فيشطَّ بهم إلى التكلُّف المصنوع ، ولقد كان البديعُ يقع عفويًّا في الشعر الجاهلي والإسلامي

ومطلع العصر العباسي وكان لذيذاً يحدث في النفوس ارتياحاً . فظنّ بعض الشعراء أنَّ هذا البديع لو كثر وتكرر فإن المتعة تتكرر معه . وعندئذ اكثروا من البديع كما فعل أبو تمام وحذا حذوه معاصرو ابن العميد ففسد الشعر وكان مثلهم كمن يضع في الطعام حفنة من الملح ليعتدل طعمه فيفسد من حيث أراد له الصلاح .

والحق أن البديع كملح الطعام وهو حين يأتي في عفوية واعتدال يطرب ويمتع وقد كان شوقي رحمه الله يستعمل البديع بمعقولية فيطرب ويعجب كقوله رحمهُ الله :

ولي بين الضلوع دمٌ ولحمٌ
هما الواهي الذي ثكل الشبابا
تسرّب في الدموع فقلت ولّى
وصفّق في الضلوع فقلتُ آبا

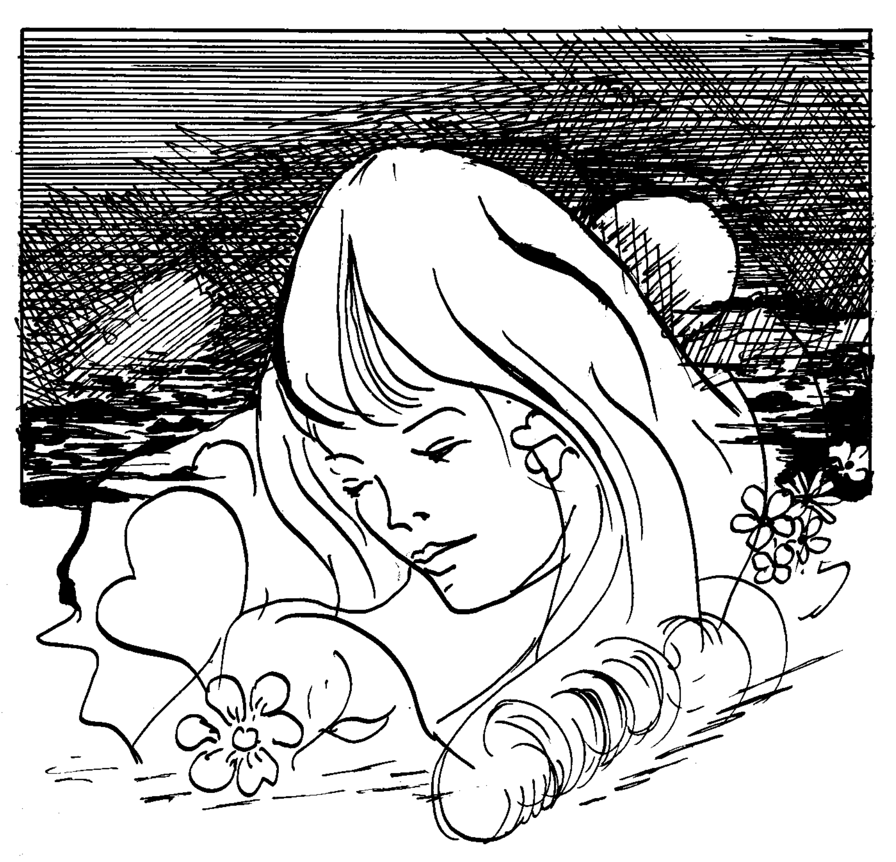
وكقول إبراهيم ناجي رحمه الله :

يا فؤادي لا تسل أين الهوى
كان صرحاً من خيالٍ فهوى
أسْقني واشرب على أطلاله
واروعني طالما الدمع روى

وكقول علي محمود طه رحمه الله :

شاعت الفرحة فيها والمسرّةْ
وجلا الحبُّ على العشاقِ سرّهْ
يمنةً مِلْ بي على الماءِ ويسرهْ
ليت هذا الليلَ لا يُطلع فجْرهْ

لقد كنا وما زلنا نقرأ كثيراً من الأبيات ذات الحلية البديعية فنستمتع بها وبخاصةٍ الطباق والجناس والتورية وحسن التعليل وأسلوب الحكيم وتأكيد المدح بما يشبه الذم ومراعاة النظير .



فمن التوريات التى حفظتها لأني طربت لها قول شاعر مصري اسمه عبدالواحد الرشيدي يهجو قاضياً :

وقاضٍ تُعَطِّلُ أحكامُه

وأحكام زوجته ماضيَهْ

فياليتَهُ لم يكنْ قاضياً

ويا ليتها كانت القاضيهْ

ومن ذلك قول ابن منظور يخاطب حبيبه الظاعن إلى وادي الأراك والأراك كما هو معروف شجر تؤخذ منه أعوادُ السِّواك :

بالله إن جُزتَ بوادي الأراكْ

وَقَبَّلتْ أغصانُه الخُضْرُ فاكْ

ابْعَـــثْ إلـــى المحـــروم من بعضـه

فـــإنني والله مـــالى ســـواكْ

وقال الشاعر مستخدماً في توريته الفاظاً من علم مصطلح الحديث :

نَقَـــل الأراكُ بـــأن ثغـــرك شهـدُه

مـــن خمـــرة مُـــزجت بمـــاء الكـــوثرِ

قـــد صـــحَّ مـــا نقـــل الأراكُ لأنّـــه

يـــرويه نَصّـــاً عن صحـــاح الجـــوهرِ

وصحاح الجوهريّ قاموس ممتاز معروف لكنّ الشاعر يقصد تلك الأسنان التى تشبه الجواهر الصحاح . ومن التوريات المتأثرة بالقرآن الكريم وأسماء السُّوَر قول أحدهم :

أنـــاشدُه الـــرحمن فـــي جمـــع شملنا

فيقســـم هـــذا لا يكـــون إلـــى الحشـــر

إذا مـــا غـــدا مثـــل الحـــديد فـؤادُه

فـــوالعصـــر إنَّ العـــاشقين لفـى خُسْر

وهـذا بيت فيـه توريتـان لطيفتـان في كلمة (جد) ومعناها الحظ وكلمة (خال) والخال حبة سوداء مخضرة تكون في الخد :

وكنـت أخـا ليلى فـأصبحتُ عمَّهـا فيـاليت لي جـدًّا بتقبيـل خـالها

وهـذه مقطـوعـة لصفي الـدين الحـلّي على هيئة حواريَشيع فيه محسّن بديعي يسمى أسلوب الحكيم وهـو أن يكـون السُّـؤال أو الكلام عن شيءٍ معّين ويكـون الجواب عن أمر آخر :

قـــالت كحـــلَتَ العيـــونَ بالـــوَسَنِ

قلـــتُ انتظاراً لطيفـــكِ الحَسَـــنِ

قـــالت تشـــاغلتَ عـــن محبتنـــا

قلـــتُ لهـــا : بالبكـــاء والحـــزَنِ

قـــالت تسلّيـــتَ بعـــد فـــرقتنا

فقلـــت عـــن راحتـــي وعـــن سكنـــي

قـــالت تخـــلَّيت قلـــتُ عـــن جَلَدي

قـــالت تغيّـــرت قلـــت فـــي بـــدني

قـــالت أذعـــت الأســـرار قلـــت لهـا

ســـريرتـي فـــي هـــواكِ كـالعلـــنِ

قـــالت ســـررت الأعـــداءَ قلـــت لهـا

ذلـــك شـــيءُ لـــو شئـــتِ لم يكـــنِ

قـــالت فمـــاذا تـــروم قلـــت لهـا

ســـاعة سَعْـــدٍ بالـــوصل تسعـــدني

وكانت تشدُّني بعض مطالع القصائد لما فيها من بديع فأحفظها كقول بعضهم من التورية والجناس :

جـــوري فـــوَرْدُك فـي خـدُودك جوري . .

وكقول الآخر **الله جـــارُكَ إن دمعـــيَ جـــاري . .**

وما أريد بسط الكلام والنماذج في هذا العنصر بالذات حتى لا يفهم منه أنني أعشقُ التكلُّف . لكنني بدون تحفظ أدعو إلى الحفاظ على تراثنا البديعي فهو لا يخلو من قدرة بلاغية على التجميل والتشويق .



خامساً: الطابَعُ القَصَصيّ

نتطلّع أيضاً إلى شعره طابـعُ قصصي وأسلوبُ حِواريٌّ لأن في الإنسـان غريزة حبّ القصص وقـد كنت أستخـدم القصـة في العمليـة التعليمية فأستعمل الحوار بين الأدوات النحـويـة وأحيـانـا أرى درس النحـو صعباً فأقول للُطلاب إذا أحسنتم الإصغـاء وفهمتم المـادَّة قصصت عليكم قصـة ما سمعتمـوهـا في حياتكم فأرى عنـدئـذ إصغـاء وتفهُّـماً عجيبـين وحسبـك دليـلاً على عشق القصـة أن قصص

الأطفال التي يعرضها الرائي كثيراً ما يكون حولها عدد من اللحى البيضاء تشاهدها وتصْغي إلى أساطيرها باهتمام وحين تكون القصة الشعرية لطيفة الحوار طريفة الأفكار تفعل بالعواطف الأعاجيب .

كهذه القصة الشعرية لبشارة الخوري (الأخطل الصغير)

هند وأمّها

أتتْ هنُد يوماً إلى أمّها
فسبحان من جَمَع النيّرين

فقالت لها إن هذا الضُّحى
أتاني وقبّلني قبلتينْ

وَفَرَّ ، فلما رآني الدُّجى
حباني من شعره خُصْلتينْ

وما خاف يا أمُّ بل ضمَّني
وألقَى على مَبْسِمي نجمتيْنْ

وذَوَّبَ من لونه سائلاً
وكحَّلني منه في المقلتيْنْ

وجئتُ إلى الروض عند الصَّباحِ
لأحجبَ نفسي من كلِّ عيْنْ

فناداني الروضُ يا روضَتي
وهمَّ ليْفعَل كالأوَّليْنْ

فخبأتُ وجهي ولكنَّهُ
إلى الصدر يا أمُّ مدَّ اليدينْ

ويا دهشتي حين فتَّحتُ عيني
فشاهدتُ في الصدر رمّانتينْ

وكان على غصنه وردتانِ
فقدَّم لي تَيْنِك الوردتين



ورحـــت إلـــى البحـــر أشكـــو إليـــه

فحَّملـــــني ويحْـــهُ مـــوْجتين

هـــو البحـــرُ يـــا أمُّ كـــم مـــن فتىً

غـــريقٍ وكم مـــن فتـــىً بيـــنَ بينْ

فهـــا أنـــا أشكـــو إليـــك الجميـــع

فبـــالله يـــا أمُّ مـــاذا تـــريْنْ

* * *

فقـــالت وقـــد ضحكـــتْ أمُّهـــا

ومـــاسَتْ مـــن العُجْـــب في بردتيْنْ

عـــــرفتهمـــو واحـــــــدا واحـــــــداً
وذقـــــتُ الـــــــذي ذُقتِـــهِ مـــرّتينْ

وهذه قصة من ثلاثة أبيات لشوقي رحمه الله وهى من شوقيات الأطفال :

سقـــط الحمـــــارُ من السفينـــة في الدُّجى
فبكـــى الرفــــاق لفقـــده وتَـــرحَّموا
حتـــى إذا طلــعَ الصَّبـــاح أتــت بِه
نَحْـــوَ السفينــــة مـــوجَةٌ تتقـدَّمُ
قـــالت خـــذوه كمـــا أتـــاني ســالماً
لـــم أبْتِلعُـــه لأنَّـــه لا يُهضَـــمُ

ومن هذا القبيـل جميـع شوقيـات الأطفـال وكثـيرٌ من شعـر إيليـا أبي ماضي كقصيـدتـه (موت شاعر) (والتينة الحمقاء) وقصيدة (النسر) لعمر أبو ريشه (وتينة الجبل) لأحمد الصافي النجفي وهذه قصيدة ذات أسلوب قصصي رائع لنزار . ولو هدى الله نزاراً فأكثـر من مثـل هذه لكـان له شأن ، لكنه كأبي نواس أهدر طاقته الجباره في سبيل إبليس .

والقصيـدة التى نحن بصـددهـا بعنـوان (أندلسية) وهو يحكي قصة مرشدة إسبانيَّة في قصر الحمراء بغرناطة .

فـــي مَدْخـــل الحمـــراء كـــان لقـــاؤنا
مـــا أطيـــــبَ اللقيـــا بـــلا ميعـــادِ
ســـارتْ معـــي والشَّعْـــرِ يلهــث خلفها
كسنـــــابلٍ تُـــركتْ بغيــــر حصـــادِ
ومشيـــــتُ مثـــلَ الطّفـــل خلــف دليلتي
وورائـــــي التـــاريخ كَـــوْمَ رمـــادِ
قـــالت : هنـــا الحمـــراء !! فخرُ جدودنا
فـــاقرأْ علـــى جدرانهـــا أمجــادي
أمجـــادها ؟؟!!! ومسحـــــتُ جرحـــاً نازفاً
ومسحـــتُ جرحـــاً ثانيـــاً بفـــؤادي

يـــاليت وارثتـــي الجميلـــة أدركـــتْ

أنَّ الـــذين عَنْتُهَـــمُ أجـــدادي

ودَّعــــت فيهـــا عندمـــا فـــارقتها

رجـــلاً يُسَمَّـــى طـــارقَ بن زيـــادِ

وهـذه النـماذج القصصية الممتازة قصيدة إيليا في البحث عن السَّعادة . حيث فتش عنها في كل مكان وأخيراً وجَدَها بعد رحلة من العناء الهائل . وهذه الأبيات ختام الرحلة :

فتَّشْـــتُ جَيْـــبَ الفجـــر عنها والدُّجى

ومـــددتُ حتـــى للكـــواكبِ إصبعـــي

فـــوَأدْتُ أفـــراحي وطلّقـــتُ المُنى

ونسخـــتُ آيـــات الهـــوى مـــن أضلعي

حتـــى إذا نشـــرَ القنـــوطُ ضبـــابَه

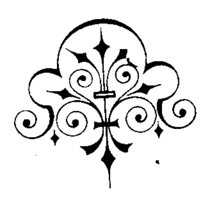
فـــوقي وغيّبنـــي وغيّـــب مـــوضعي

عصـــر الأســـى روحـــي فســـالت أدمعاً

فلمحتُهـــا ولمستهـــا فـــي أدمُعـــي

وعلمـــتُ حيـــن العلـــمُ لا يجدى الفتى

أن التـــى ضيَّعْتُهـــا كـــانت معـــي





نريد قبل هذا كله وبعد هذا كلّه شعراً حماسيًّا جادًّا يوقد في عزائمنا جذوة الجهاد ويكشف من تحت أرجلنا ومن حولنا حبائل الفساد والإلحاد لا من ذلك الشعر الذى يسمى وطنيًّا وهو ادعاءات جوفاء . نريد شعراً كأنه المعالم المضيئة على طريق التضحيات ينير لنا منعطفات السبيل ويُشدُّنا إلى الكفاح الجليل .

كتلك القصائد الملهبة التى كنا نسمعها من حافظ ابراهيم ، وإبراهيم طوقان ، وخير الدين الزركلي ، والصافي ، والرصافي ، وعبدالرحيم محمود .

إن في ديوان إبراهيم طوقان رحمه الله قصائد وطنية هي سجلٌ تاريخ ، وهاتف بطولة ، وصَرْخة أمة ، منها قصيدة (الفدائي) وقصيدة (الشهيد) وقصيدة (الثلاثاء الحمراء) التى قالها غداة إعدام الشهداء الفلسطينين الزير وحجازى وجمجوم فطبقت في حينها العالم العربي :

لقد تنبأ إبراهيم رحمه الله بمصير فلسطين حين رأى بعينه ذلك التعاون المجرم الظالم بين سلاح بريطانيا وأموال اليهود مُنذ خمسين عاماً أو يزيد :

أمامَكَ أيها العَربيُّ شوطٌ

تشيبُ لهوله سودُ النواصي

فمـــــارَحبُ القصـــــور غـــداً بباقٍ

لأمّتنـــــا ولا ضِيـــــقُ الخصـــــاص

مصيـــرُك بـــات يَلْمسُـــه الأدانـــي

وســـار حـــديثه بيـــن الأقـــاصي

لنـــا خصمـــان ذو حـــول وطـــولٍ

وآخَـــرُ ذو احتيـــال واقتنـــاص

تـــواصوا بينهـــم فغـــدا وبـــالاً

وإذلالاً لنـــــا ذاك التـــــواصي

منـــاهجُ للإبـــادة واضحـــاتٌ

وبالحسنـــى تنفَّـــذُ والرَّصـــاصِ

ومن شعر إبراهيم في الرؤساء المزيفين والزعماء الخائنين :

كـــم قـــد أحطنـــا خـــائناً

منهـــم بهـــالات القـــداسَهْ

ولكـــم أضـــاعَ حقوقنـــا

الرَّجُـــلُ المـــوكَّلُ بالحـــراسهْ

واللـــه ليـــس هنـــاك إلَّا

كـــلُّ قنـــاص الريـــاسهْ

تـــأتيه مـــن بيـــع البـــلاد

ومـــا لديـــه مـــن الخســـاسهْ

وإذا اتقـــاك فبـــالجـــرائد

والنخـــاسةِ والنجـــاسهْ

ويتهكم بالانجليز المجرمين الـذين حرسوا إجرام اليهود في فلسطين ثلاثين عاماً لينفذّوا وعد بلفور فيقول :

قـــد شهدنـــا لعهـــدكم بالعـــدالهْ

وختمنـــا لجنـــدكم بالبســـالهْ

وعرفنـــــا منكـــــم صديقـــاً وفـــيًّا
كيـــف ننســـى انتـــدابه واحتــلالَهْ
وخجلنـــا مـــن لطفكـــم يـــوم قلتـم
وعـــدُ بلفـــور نـــافذٌ لا محـالَهْ
كـــلُّ أفضـــالكم علـــى الرأس والعين
وليســـت فـــي حـــاجة لدِلالـــهْ
غيـــر أنَّ الطـــريقَ طـــالت علينـا
وعليكـــم فمـــا لنـــا والإطـــالهْ
اجـــلاءً عـــن البـــلاد تـــريدون
فنجلـــو أم سَحْقنـــاَ والإزالَـــهْ

وفي المقطع الأول من اللوحة الفنيَّهْ يرسم إبراهيم صورة الشهيد مصنوعة من جوهـر الفـداء ومعدن الكرم . نعم إنَّ أكرم الكرماء من خَلقِ الله هو الشهيد لأنه جادَ بأغلى ما يُفتدى :

عبـــس الخطـــبُ فـــابتسمْ
وطغَـــى الهـــول فـــاقتحمْ
رابـــطَ الجـــأش والنُّهـــى
ثـــابتَ القلـــب والقـــدَمْ
لـــم يبـــالِ الـــرَّدى ولـــم
يْثنـــهِ فـــاجعُ الألـــمْ
نفْسُـــه طـــوعُ همَّـــةٍ
وَجَمـــتْ دونهـــا الهمـــمْ
تلتقـــي فـــي مـــزاجها
بالأعـــاصير والحمـــمْ
تجمـــع الهـــائج الخِضَـــمَّ
إلـــى الـــراسخ الأشـــمّ

وهـــي مـــن عنصُـــر الفـــداءِ

ومـــن جـــوهر الكـــرَمْ

ومـــن الحـــقِّ جـــذوَة

لفحهُـــا حـــرَّرَ الأُمـــمْ

وفي مطلع اللوحة الفنية التى رسمها إبراهيم للفدائي يصوّر إبراهيم الجوّ الرَّهيب الذي يكتنف رسالة الفدائي :

لا تســـلْ عـــن سلامتـــهْ

روحـــهُ فـــوقَ راحتـــهْ

يرقـــبُ السَّـــاعة التـــى

بعدهـــا هـــولُ ســـاعتهْ

شـــاغلٌ فكـــر مـــن يـــراه

بـــإطـــراقِ هـــامتـــهْ

بيـــن جنبيـــه خـــافِقٌ

يتلظَّـــى بغـــايتـــهْ

مـــن رأى فحمـــة الـــدجى

أوقـــدت مـــن شـــرارتهْ

حمَّلتـــهُ جَهنَّـــمٌ

قبســـاً مـــن رســـالتهْ

فـــادعى جـــوف نـــارها

أنهـــا مـــن جمـــالتهْ

* * *

هـــو بالبـــاب واقـــفُ

والـــرَّدى منـــه خـــائفُ

فـــاهدئي يـــا عـــواصفُ

خجـــلاً مـــن بســـالتهْ

* * *

صـــــامتٌ لـــــو تكلَّمـــــــــا
لفـــــــظ النـــــــار والدَّمـــــا

قـــــل لمـــــن عـــــاب صمتَـــــه
خُلِـــــقَ الحـــــزمُ أبكمـــــا

وأخـــــو الحـــــزم لـــــم تـــزلْ
يـــــدُه تسبـــــقُ الفمـــــا

لا تلـــــومـــــوه قـــــد رأى
منهـــــجَ الحـــــقِّ مُظْلِـــــمَا

وبـــــلاداً أحبَّهـــــا
ركنُهـــــا قـــــد تهدَّمـــــا

وخصومـــــاً ببغيهـــــم
ضجّـــــت الأرض والسَّمـــــا

يـــــا فلسطيـــــنُ شـــــدّما
حمـــــل الضيـــــمَ شدَّمـــــا

مـــــرَّ حيـــــن فكـــــاد
يقتُلُـــــه اليـــــأس إنمـــــا

* * *

هـــــو بالبـــــابِ واقـــــفُ
والـــــرَّدى منـــــه خـــــائف

فـــــاهدئي يـــــا عـــــواصفُ
خجـــــلاً مـــــن بســـــالته

ومن نماذج الشعر الوطنيّ هذه اللوحة الرائعة التى رسمها الاستاذ عمر أبو ريشه للبلاد العربيَّة الجميلة الحلوة المغرية تحيط بها الأنياب والخناجر وهي نائمة :

يـــــا عروســـــاً تنـــــام مـــــلء المحاجرْ
شيّعـــــى الحُلْـــــم والطيـــــوفَ السَّواحرْ

آن أنْ تفتحـــــي العيـــون إلى النَــور

وتُلقـــــي علــــى الظـــلام السَّتــــائرْ

مـــا أرى عــــالَم الـــرُّؤى غير مــأوى

لنفــــوس دارت عليهـــــا الــــدوائـــرْ

انهضــــي فالصَّبـــــاحُ يلمــــس خدَّيـكِ

وينســـــابُ مـــــن خـــلال الضفـــائرْ

وانظــــري كـــم هَفَـــتْ إليـك نيـوبٌ

وأحــــاطتْ بجــــانبيكِ خنــــاجرْ

إنَّــــه الحســـنُ كــم يجـرُّ على الحسناء

شــــرًّا وكـــــم يهيـــنُ حــــرائرْ

يـــا بـــلادي وأنـــتِ نهلــةُ ظمـــآن

وشبَّـــــابةٌ علـــى فـــم شــــاعرْ

كيــــف مـــالت بـــك الليـــالي وأودت

بالبقايــــا مــــن العهــــود الغَـــوابرْ

مـــا حملْنـــا ذلَّ الحيـــاة وفي القـوس

نبــــالٌ أو فــــي الأكُـــفّ بواتــــــرْ

يصفـــع الـــذئبُ جبهـــة الليـــث صفعاً

إن تـــــلاشتْ أنيــــابه والأظـــافرْ

وقد استيقظ نزار قباني في صحوة لا بأس بها وإن لَمْ تكن راسخة على مبدأ بعد كارثة سبعة وستين فبدأ يشارك في الآم الوطن ومشكلات الضيَّاع ، وهذه قصيدة من مشاركاته وهي وإن كانت من الشعر الحرّ لكنها جديرة بالتقدير .

أكتبُ باختصارْ

قصة إرهابيةٍ مُجَنَّدهْ

---

(١) إنَّ عالم الأحلام وهو النوم لا تلجأ إليه إلا النفوس الجبانة المنهزمة .



يدعونها راشيلْ
كان أبوها قذراً
من أقذر اليهودْ
يزوّر النقودْ
وهي تدير منزلاً
للفحـــش في (براغْ)
يروده الجنودْ
وانتهت الحرب وأعلن السَّلامْ
فأبحرت من شرق أوروبًا
سفينَةٌ تلعنها الرياح
تغَصُّ بالجرذان والطاعونِ واليهود
كانوا خليطاً من سُقاطةِ الشُّعوبْ
من آخرِ الأرضِ من السَّعيرْ
جاءوا إلى موطننا المسالم الصغيرْ
فلطَّخُوا تراثنا
وأعدموا نساءَنا
ويتَّموا أطفالنا
ولا تزال الأمم المتحدة .
ولم يزلْ ميثاقها الخطيرْ
يبحث في حرّية الشعوب
وحقِّ تقرير المصيرْ
ونزلتْ في أرضنا راشيلْ
حلّتْ محلَّ أمّيَ الممدَّدهْ
فليذْكرِ الصغارْ
حكايةَ الأرض التى ضيَّعَها الكبارْ
والأممُ المتحدْه

سابعاً: نريدُ شعراً يساهم في خدمة المجتمع



ونريدُ بعدُ شعراً لا يقف من مشكلات مجتمعنا وقفة الغبيّ المتفرِّج . بل يخوض فيها بعزيمة المصلح . نريـد شعـراً يَهْدى تطلعـاتنـا الحضـاريـة ، ويرسم لنا مُثلَنا الأخلاقية والـوطنيـة والـدينيَّـة . نريـد من الشعر أن يقف من هذا كلّه موقف الجادّ المشارك الـذي تَشـدُّه خدمـة مجتمعـه وتـؤثـر فيه الآمه وآماله . نريده باعثاً لروح المواطنة المخلصة المؤمنة العاملة .

والحقيقـة التى تثـ . الغضب والاشمئزاز أن كثيراً من شعرائنا في واد وحقوقُ أوطـانهم في واد آخـر إذا صاح الـوطن من ظلم الأعداء سرحوا في أساطير اليونان وإذا اشتكى الـوطن ـ تفـرُّقَ الأهواء وتصدُّع الشمل حدثك الشاعر عن مصارعة الثـيران في المسـرح الـرومـاني . لأن عدداً كبـيراً من شعـرائنا مشغول عن وطنه بأهوائه وعن أخلاقه بنزواته وعن واقعه بمغامراته . وبينما مجتمعنا المسلم ضائع في هبـاء ضعفـه إذا كثـير من شعرائنا يعيشون في أبراجهم العاجّية يطلّون منها على مروج الخـرافـات اليـونـانية والرومانية والفرعونية ويلهُون فيها مع الوثنية الحمقاء

حيث الآلهة إيزيس وأوزيريس وبروميثيوس الذى أنقذ البشرية من غضب زيوس ربّ الأربــاب كما يقــول البيــاتي زعيم شعــراء الحــداثــة الــذى اتخــذ من خرافــة بروميثيوس محوراً لقصيدة تعسة من شعره عنوانها (سيرة ذاتية لسارق النار) .

لقـد ساهم شُعـراؤنـا قديـماً في بنـاء المجتمع وإصلاحه والخوض الرجُوليّ في مشكـلاتـه فهـذا أبـو العلاء يعالج زواج الشيخ الهرم من الكاعب الحسناء يبيعها أبـوهـا للشيطـان بالعَرَض الأدنى فتكون في هذا فتنةٌ في الأرض وفسادٌ كبير يقول حكيم المعرَّة :

بـــاد شيبُـــــه مثَـــل النهــار ولـم يكُنْ
يُشَـــابِهُ فجـــــراً أو نجـــومَ ظـــلامِ
يحدّثُهـــــا مــــالا تـــريدُ استمـــــاعَهُ
ولـــم يبـــقَ عنـــــد الشيــــخ غيرُ كلامِ
تقـــول لـــــه فـــي النفـــس غيـرَ مُبينَةٍ
خُـــذ المهـــــرَ منـــى وارتحــلْ بســــلامِ
تـــــودُّ لـــــو آنَّ الله يُعطيــــه صَعْقـــــةً
ليرزقَهــــــا مـــــن بعــــده بُغـــــــلامِ

ويقول **القاضي** *الجليس من شعراء الفاطميين يعالج مشكلة الأطبَّاء الأدعياء الذين يضُرُّون المرضى بالجهل والتخبط والشعوذَة :*

طبيــــــبٌ طبـــــهُ كغُـــــراب بيْـــــنٍ
يُفـــــرِّقُ بيـــــن عـــــافيتى وبينـــي
أتَـــــى الحُمـــــىّ وقـــــد شاختْ وباختْ
فـــــردّ لهَـــــا الشبـــــاَب بـــوصفتين
وكـــــانت نوبَـــــةً فـــي كـــلٍّ يـــومٍ
فصيــــــــرَّها بحــــــــذقٍ مـــــرتينِ

ويقول أبو الطيب حين رأى أقاليم الدولة العباسية تحت حكم العبيد :

بكـــــلِّ أرض وطئتهــــــا أمــــمٌ
تُـــرعى بعبـــدٍ كـــأنها غَنَـــمُ

يستخشِنُ الخزَّ حين يلمسُه
وكانُ يُبري بظفره القلمُ

ومن هذا الصّنف قول ابراهيم بن نصر الموصلي ينتقد رقص المتصوفين بعد أن يملئوا بطونهم من اللحم والثّريد :

متى سمع الناسُ في دينهمْ
بأن الغِنا سُنَّةُ تُتَّبَعْ
وأنْ يأكلَ المرءُ أكلَ البعيرَ
ويَرْقُصَ في الجمع حتى يَقَعْ
وقالوا سكرنْا بحبِّ الإلهِ
وما أَسْكرَ القومَ إلا القصَعْ
كذاك الحميرُ إذا أخصبتْ
تَنَاهَقُ من ريّها والشّبَعْ

ويصفُ دعبل ما آلت إليه حال الخلفاء العباسيين في عصور الضعف حين تصرَّف في رقابهم ومصائرهم خدم القصر فكانوا يَسْمِلونَ أعينهم كما فعلوا بالخليفة القاهر :

خليفةٌ مات لم يحزَنْ له أحَدُ
وآخرٌ قام لم يفرحْ له أحدُ
فمَّر هذا وكان الشُّؤمُ يتبَعُه
وقام هذا فقام الويلُ والنّكدُ

وفي قلة الوفاء وندرة الأصدقاء الصادقين يقول صفي الدين الحلّي :

لما رأيتُ الأصدقاء ولم أجدْ
خِلًّا وفيًّا للشدائد أصطفي
أيقنتُ أن المستحيل ثلاثةٌ
الغول والعنقاءُ والخِلُّ الوفي

وفي التناقضات الاجتماعية يقول الشاعر الأمير عليُّ بن المقرَّب من قصيدة كأنها الصَّرخة المدوّية :

أو ليـــس عـــاراً أن تُسِيـــمَ بَمـرتعٍ
أكلـــتْ بـــه المِعـــزَى لحومَ رُعاتهَا
صـــوَّتْتُ حيـــن دعـــوتُ إلا أنَّـــهُ
لا يبلـــغُ الأمـــواتَ صـــوتُ دعـــاتهَا
فـــارغبْ بنفســـك أن تقيـــم ببلـــدةٍ
عصفورُهـــا يسطـــو بشُهـــبِ بُزاتهـــا
هـــوِّنْ فقومُـــك يـــا عليُّ حيـــاتُها
كممـــاتها ومَمـــاتُها كحيـــاتها

ولصفي الدين الحلّي قصيدةٌ كانت بركةً على منطقة ماردين وقد نظمها الشاعرُ حينَ سرِق بيتهُ وأحسّ أثناء التحقيق أنَّ الشرطة ضالعون مع اللصوص وقد رفع الشاعر القصيدة إلى السُّلطان فتدخل بنفسه وألقى القبضَ على اللصوص ومن يظاهرونهم من الشرطة والقصيدة طويلة في ديوان الشعر يقول منها :

خطـــبٌ لســـانُ الحـــال فيـه أبْكم
وهـــوىً طريـــقُ الحـــقِّ فيـه مظلمُ
إن كنـــت لا تـــدرى فتلـــك مصيبـــةٌ
أو كنـــت تـــدرى فالمصيبـــةُ أعظـمُ
أيليـــقُ أن تخفـــى عليـــك قضيَّتـــي
وبطـــونُ عذْنـــانٍ بهـــا تتكلـــمُ
الله يحـــرسُ مـــاردين فـــإنها
بلـــدٌ يصـــول بـــه الغريبُ ويحكمُ
بَلَـــدٌ به يسطـــو على الليـــث الطَّلا
ويعبـــث في غـــاب الأســـود الأرقـمُ

ويمضي الشاعر إلى أن يقول في ختامها :

إن كـــان تعطيـــل الحـــدود لـــرحمة
فـــالله أرأف بـــالعبـــاد وأرحـــمُ

هـــذه القضيـــــة للمفكـــر عبـــرة

والله أولـــــى بالعبــــاد وأعلـــمُ

وفي فترة من فترات الـدولـة العباسية كثر الشعارير وفسدت روح النقد فقال إبراهيم الغزّي يصف ذلك الوضع :

ومـــن الحـــدائدِ وهـــي أصلٌ واحدٌ

سيـــفُ الشجـــاع ومبضـــع الفَصَّادِ

مـــا كثـــرةُ الشعـــراء إلا عِلَّـــة

مشتَقَّـــةٌ من قِلَّـــة النُّقـــادِ

وهذا الأستاذ مارون عبُّود شاعر لبناني فيه إنصاف وقد أخبرني بعضُ من عرفه أنَّ الرجل كان مسلماً بقلبه . هذا الشاعر رأى العصبية الطائفية تملأ قلوب الجهلة قيحاً وبغضاً وفرقةً فسمى الشاعر ابنه محّمداً اعترافاً بفضل الرسول الكريم ولفتَ نظرٍ للمتعصبين أن ينظروا إلى تاريخهم . وفي هذا يقول الأستاذ مارون :

عشـــتَ يـــاَبْني عشـــت أغلـــى صبـــي

ولدْتـــهُ أمُّـــه فـــي رجَـــب

خفِّـــف الـــدهشةَ واخشـــع أن تَـــرَى

إبـــنَ مـــارونَ سميًّـــا للنبـــيَ

فالنبـــيُّ العـــربيُّ المصطفـــى

رحمـــة الدنيـــا وفخـــر العـــربِ

وأحياناً ترى الشاعر جريئاً يخرج في نقده على حدود الخوف ويلجأ إلى صراحة قد ترديه فهـذا شاعـرٌ مغامر اسمه الأحيمر السَّعدي يهجو والياً على العراق كان مشهوراً بالبخل :

وقـــد ســـاءني أنَّ الحمـــار ابـن جندلٍ

علـــيَّ بـــأطراف العـــراقِ أميـــرُ

وأن أســـأل العبـــد البخيـــل بعيـــره

وبُعـــرانُ ربـــيّ فـي البـــلاد كثيـــر

عــوي الـــذئب فاستـــأنست بالـذئب إذ عوى
وصَـــوَّتَ إنســـانٌ فكـــدت أطيـــرُ

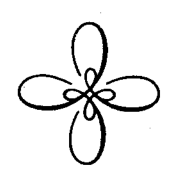
وَللقـاضي عبـدالـوهـاب البغـدادي ينكـر أن يقبـع الشرفاء في عزلتهم فتخلو الساحة للأسافل :

وإنَّ تَـــرفعَ الحقـــراءِ يومـــاً
علـــى الشُّرفـــاءِ مـــن عِظم البلايــا
إذا استـــوت الأســـافل والأعـــالي
فقـــد طـــابت منـــادَمةُ المنـــايَا
ومـــن يثنـــي الأصـــاغَر عـــن فســادٍ
إذا قبـــع الأكـــابِرُ فـــي الـــزَّوايا

ومن طريف الشعـر الاجتـاعي ما قالـه أبـو الحسن العكـبري يصف مجتمعه الذي فسدت فيه طريقة الأغنياء :

رأيـــتُ في النـــوم دنيـــانا مـزخرفةً
مِثْـــلَ العـــروسِ تراها في المــقاصيرِ
فقلـــتُ جودي لنـــا قـــالت على عجـــلٍ
إذا تخَلَّصـــتُ مـــن أيـــدى الخنازيـــرِ

وإذا أردت المزيد من الشعر الاجتماعي فعليك بديوان معروف الرصافي وحافظ ابراهيم وإيليا أبي ماضي وأحمد محرم وشوقي رحمهم الله . لقد كانوا يخوضون في شعـرهم مشكـلات المجتمـع كأحـوال الأرامـل والأيتام والفقراء عموماً بأسلوب قصصي يستثير عنـاصـر وصنـائـع المعـروف فيؤتي شعرهم أُكُلاً طيباً من البذل والرحمة والعواطف النبيلة .





ونتطلع في الختام إلى شعر لا يهدم الشخصية الموسيقية الناضجة التى يتمتع بها شعرنا الحلو الجميل الرائع . ولقد أتيحت لي فرصةٌ لدراسة موسيقى الشعر الانجليزي فوجدت له وزنين رئيسيين **الوزن الأول** مقطع مضغوط يليه مقطع غير مضغوط **والـوزن الثـاني** عكسـه مقطـع غير مضغوط يليه مقطع مضغوط هذا قبل أن جاء الشعر الحرّ في هذه الأيّام فقضى على وزن الشعر الانجليزي . أمّا شعرنا العربي فإن له من الأوزان ما لا يقل خمسين وزناً بين تامّ ومجزوء ومخلّع .

والعجيب أن شعراء الحداثة حين أرادوا أن يطوِّروا شعرنا ويجددوه ويستفيدوا

من الشعر الغربي بدءوا حداثتهم وتجديدهم بهدم الموسيقى وبدلاً من أن يطعّم الأجانب شعرهم بروعة موسيقانا قمنا نحنُ باقتباس موسيقاهم المحدودة وتخلّينا عن موسيقانا الناضجة وتلك لعمر الحق من الحماقة لأن المقتبس الذكي يحرص أن يقتبس ما يتمم نقصه لا أن يقتبس ما يُنقص كماله .

وأهل الذوق من عشاق الشعر العربي لا يرفضون من شعر الحداثة ما يتصرّف في أوزان الخليل وفي قوافي القصيد فيلجئون إلى رباعيات أو موشحات تتنوع فيها الأوزان وتتعدد فيها القوافي بحيث تظلُّ لشعرنا محاسنه الموسيقية وتزول عنه الرّتابة المملة وذلك كما فعل الاندلسيون حين نوّعوا القوافي في موشحاتهم دون أن يهدموا شخصية موسيقاهم .

لكنَّ أهل الذوق الذين لا يرفضون شعر الحداثة الملتزم بالتفعيلة يمتقون أشدَّ المقت اسماً كريهاً متناقصاً هو (القصيدة النثرية) إذ كيف تكون قصيدة وتكون نثراً إن القصيدة هي وحدة الشعر فكيف يتلاعب صبيان الحداثة بعقولنا ؟ لنقبل المتناقضات .

إن الكلام العربي طول عصوره إمَّا شعر وإما نثر وليس هنالك نثر مشعور ولا شعر منثور . وجميع كُتّاب القصائد النثرية هم كُتاب نثر وما يضرهم هذه التسمية لأن الأدب العربي يحتاج إلى شعراءَ وكتاب وخيرٌ لأهل القصيدة النثرية إذاً آنسوا من أنفسهم أسلوباً نثريًّا مكتمل العناصر الفنية أن يعلنوا أنهم كتاب فذلك يفيدهم ويرسم لهم طريق الإبداع والتخصص . ولكنني متأكد أنَّهم لن يوافقوا أن ينضَمُّوا إلى صفوف الكتاب وذلك لسبب معروف وهو أنهم ليسوا شعراء ولا كُتاباً . ولو أنهم قدروا مواهبهم حقَّ قدرها لاشتغلوا بغير الأدب والحرف بفضل الله كثيرة .

وإذا كان أدونيس يريد أن يخدع الحداثيين ويقول لهم (إن سورة مريم هى قصيدة نثرية) فإن قبول كلام هذا كفر بالقرآن الكريم لأن ربّنا جلّ جلاله نفى أن يكون القرآن شعراً وما ناقش هذا القول ولا جادل فيه أيُّ عارف بالأدب من عصر النبوّة إلى الآن .

وهـذه نماذج من المـوشحـات الأنـدلسيـة تنـوعت فيهـا الأوزان والقوافي لكنها احتفظت بغنـائيتهـا ولم تخرج عن شاعـريتهـا لأن فيها خصائص الشعر المتعارف عليهـا من الأوزان والقـوافي يجملهـا تنـوع لطيف . إن بعض شعـراء الموشحات ابتكـروا أوزانـاً جديـدة ليست من أوزان الخليـل فلم يُنكـرَ عليهم ذلك . كقول أحدهم من موشح معروف :

هل تستعادْ أيامنا بالخليـجْ ولياليناً
أو يستفادْ من النسيم الأريـجْ مسك دارينا
وادٍ يكادْ حسن المكان البهيجْ أن يحيِّينا إلى آخر الموشح

وسيلاحظ القارىء أن في أوزانها خروجاً غير قليل على بحور الخليل ، وهذا نموذج من موشح أندلسي للأعمى التطيلي :

ضـــاحكٌ عـــنُ جمـــانْ ســـافرٌ عـــن بـــدرِ
ضـــاقَ عنــه الزَّمانْ وحـــواه صـــــدري

آه ممـــا أجـدْ
شفَّنـــي ما أجـدْ
قـــام بي وقَعَـدْ
ظالـــمٌ متئـــدْ
كلمـــا قلـتُ قَدْ
قـال لي أين قَدْ ؟

وانثنـــى غُصـــنَ بانْ ذا مَهـــزٍّ نَضْـــرِ
داعَـــبَتْهُ يـــدانْ بالنَّـــدى والقَطْـرِ

ومن الموشح الشهير المنسوب لعبدالله بن المعتز ولابن زهر والذى مطلعه :

أيهـــا السَّـــاقي إليـكَ المشتكى قـــد دعونـــاكَ وإن لـــم تسمـــعِ

ليـــس لي صبـــرٌ ولا لي جلَـدُ
يـــا لَقَـــوْمي عَـــذَلوا واجتهدوا
أنكـــروا شكـــوايَ ممـــا أجـــدُ

مثـلُ حـالي حقُّـهُ أن يُشْتكى كمـدُ اليـأس وذلُّ الطمـعِ

كبـدٌ حَـرَّى ودمـعٌ يَكـفُ

يـذرف الدمـعَ فـلا ينـذرفُ

أيُّهـا المعـرضُ عمّـا أَصِفُ

قـد نمـا حبّـي بقلبـي وزكا لا تقـل في الحـبّ أنـي مُدَّعـي

وما أجمل ذلك الموشح الشهير الذي طبقت شهرته الآفاق وهو للسان الدين بن الخطيب الأندلسي الذي يقول في مطلعه :

جـادك الغيـثُ إذا الغيـثُ همـى

يـا زمـانَ الـوصْلِ بالأندلـس

لـم يكـنْ وصْلُـكَ إلاَّ حُلمَـا

فـي الكـرى أو خُلْسَـةَ المختلسِ

إذ يقـودُ الدَّهـرُ أشتـاتَ المُنَى

تَنْقُـلُ الخطَـو علـى مـا نرسِمُ

زُمـراً بيـن فُـرادي وثُنـا

مثلمـا يدعـو الوفـودَ المـوسم

والحيـاَ قـد جلّـل الـروضَ سَنَـا

فثغـور الـزهرِ منـه تبسِـمُ

* * *

وروَى النُّعمـان عـن مـاءِ السَّمـا

كيـف يـروي مالـكٌ عـن أنَـسِ

فكسـاه الحسـنُ ثوبـاً مُعْلَمـا

يـزدهـي منـه بـأبهي ملبَـسِ

ومنها قوله يخاطب أحبَّاءَه :

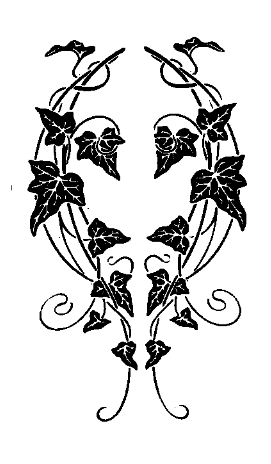
وبقلبـي منكـمُ مقتـرَبُ

بـأحاديث المُنَـى وهـو بعيـدْ

قمــــرٌ أطْلَــــع منــــه المغـــرِبُ
شِقْــوةَ المضْنَــى بــه وهو سعيــدْ
قــد تســاوَى محســنٌ أو مـــذنبُ
فــي هـــواهُ بيــن وعــد ووعيــدْ

* * *

فــاحمُ الجمَّــةِ معســولُ اللَّــمى
جــالَ فــي النَّفْــسِ مجالَ النَّفَسِ
ســدَّد السَّهــم وسمّــى ورمــى
ففــؤادي نُهــبةِ المُفتــرسِ





الخاتمة

لابد لي أن أختم هذا الكتاب بتحذيرين أولهما : من شعر الحداثة الذى يقطع صلته بالأصالة . والثاني : من مقاييس النقد الأوروبي التى نجترُّها دونما تصفية أو تمحيص فقدْ يَرَوْنَ حسناً عندهم ما يكون قبيحاً عندنا .

لقد تفرقت مذاهب الغرب النقدية بمقدار ما ضاعت نظراتهم الاجتماعية ولهذا جاءت بعض مذاهبهم الأدبيَّة كافرة ملحدة . أفنقتبسها على إلحادها لتشوُّه الوجه الصبيح لأدبنا المؤدَّب ؟!

إن شعرنا سيظل بإذن الله أصيلاً مؤدبا رائع اللحن عذب الإيقاع مهما تآمر عليه أعداء الإسلام وإن مجتمعنا بإذن الله سيظل إسلامياً .

هنالـك دعاءٌ مأثور من ضمنه خطاب لله جلّ جلاله يقول (ونْخلعُ ونترك من يفُجـرك) والآن وبعـد أن كشفت الحجبُ البشعـة عن وجـوه ملحـدة تتربص بنا دوائـر السُّـوء أن يُخلع أولئـك الفجـرة ويُكفـروا بضم الياء . لتظلَّ لنا شخصَّيتنا المتميزة بالإيمان وتظل لأدبنا شخصيته المتميزة بالأدب .

(وبعـد) فهـل لي أن أتقـدم في أدب وتحفُّـظ وحبٍّ وأبـوّة إلى أبنائنا من شعراء الحـداثـة أن يحافظـوا على شخصيـة أدبنـا وحمى شعرنا وحرم تراثنا . وألا يبيحوه لكـل دخيـل حتى لا تتلوث رحـابـة الجميلة الحبيبة الوضيئة بالمستوردات الآسنة الوبيئة . وحتى لا ينتقل العبث إلى أصول لغتنا وإعجاز قرآننا وحتى لا ترخص قيمة الأدب العربي فيسومه كل مفلس ويُركضُ في حلبته كل هزيل .

إن دواوين القصيـدة النثـريـة التى لا أثـر فيهـا لتفعيلة ولا وزن ولا قافيـة قد فُرضت على وسطنا الأدبي الوضيء منذ أكثر من خمسين عاماً فلم يستسغها أدبنا ولا أدباؤنا ولا القرَّاء والمثقفون . وحسبك بهذا دليلاً على إفلاسها وخيبتها .

أمّـا كُتَّـاب القصيـدة النثـريـة فقد آن الأوان أن يدركوا أنهم ليسوا شعراء وأن عليهم أن ينسحبوا من حلبة الشعر التى لم يُيسَّروا لها وكُلٌّ مُيَسرٌ لما خُلق له ولعلّهم يجدون أو يكتشفـون مواهبهم في النثـر . وأما شعراء التفعيلة فإن في ساحة الشعر متسعـاً لهم بشـرط واحـد وهـو أن نلمس من واقـع شعـرهم أنهم عربٌ مسلمون ومواطنون صالحون .

هذا ولقائل أن يقول إن كثيراً من النقد في هذا الكتاب مقاتلة وخصام ثم إنك قد أكثـرت فيـه من الشـواهـد الشعـرية وأقول إنه لا يخلو من مقاتلة لكنها مقاتلة تنبعث من نّيـة الإصـلاح . أمـا كثرة الشواهد فقد تعمّدتها لأُنسي القارىء طول الرحلة وأسلّيه بحداء البلاغة الممتعه . بعد أن طغت عليها في هذه الأيام رطانة الشعر النثري .

وفي الختام أسأل الله أن يعصمنا وأمّتنا من زيغ العقول وقيادة الجهول وأن يعيد أدبنـا القـرآني الحبيب من حبـائـل الشياطين وإيحاء المضلّين والمنافقين والملحدين ومـؤامـرات الحـاقـدين والخـائنـين . وأن يحفـظ على أمتنا لغتها القرآنية لتسهّل

وحـدتهـا وتسـير تفـاهمها وأن يهدي أمَّتنا رشدها ويمهّد لها طريق مجدها لتظل كما شاء الله لها أن تكون خير أمة أخرجت للناس .

وصلّى الله على محمد أفصح العرب لساناً وأحلاهم منطقاً وبياناً .

تم الكتاب بحمد الله في ١ / ربيع الأوّل ١٤٠٦هـ



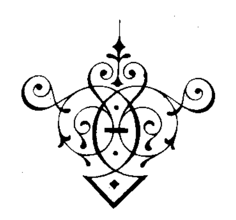
مطبوعات نادي الطائف الأدبي

	العنوان	المؤلف
١	سوق عكاظ في التاريخ والأدب	**إعداد لجنة الآثار التاريخية بنادي الطائف الأدبي**
٢	البحث عن ابتسامة	محمد المنصور الشقحاء
٣	لكل مثل قصة	مناحي ضاوي القثامي
٤	شبه الجزيرة العربية تهدى الحكمة للعالم (محاضرة)	حمد الزيد
٥	مسيكينة	سعد الثوعي الغامدي
٦	رحلة العمر	علي حسين الفيفي
٧	هل للشعر مكان في القرن العشرين (محاضرة)	د. غازى القصيبي
٨	خطرات في الأدب والفلسفة	حمد الزيد
٩	فلسفة الاسلام	هشام ناظر
١٠	**معانـــــاة**	محمد منصور الشقحاء
١١	المضيفـات والممـرضـات في الشعـر العربي المعاصر (محاضرة)	عبد الرحمن المعمر
١٢	ملف نادي الطائف الأدبي الأول	اعداد النادي
١٣	أجنحة بلا ريش	حسين سرحان
١٤	نظرات في الأدب والتاريخ والأنساب	علي حسن العبادى
١٥	رجل على الرصيف	عبد الله سعيد جمعان
١٦	صور من الحياة والمجتمع	علي خضران القرني
١٧	ذكريات	أحمد علي
١٨	خواطر في التنمية (محاضرة)	د. غازي القصيبي
١٩	حديث في الاعلام (محاضرة)	د. محمد عبده يماني
٢٠	البيت أولاً (محاضرة)	هشام ناظر

٢١	جوانب صحية في التشريع الإسلامي (محاضرة)	حمد الدعيج
٢٢	المحراب المهجور	ابراهيم الزيد
٢٣	كتاب القصة الأول	محمد منصور الشقحاء (كتاب دورى)
٢٤	مقالات في الأدب (١)	اعداد النادي (كتاب دورى)
٢٥	عذراء المنفى	ابراهيم الناصر
٢٦	نشر النور والزهر جـ ١ ، ٢	محمد سعيد العامودي واحمد علي
٢٧	ملف نادي الطائف الأدبي (الثاني)	اعداد النادي
٢٨	معجم معالم الحجاز جـ (١)	عاتق بن غيث البلادي
٢٩	مذكرات في الخط العربي	جلال أمين صالح
٣٠	في الأدب والحرب	حسين سرحان
٣١	أهازيج	محمد ابراهيم جدع
٣٢	نافذة هلى الحائط المهدوم	هند صالح باغفار
٣٣	الطائف (محاضرة)	عبد القدوس الأنصاري
٣٤	حكاية حب ساذجة	محمد المنصور الشقحاء
٣٥	الرواد الثلاثة	عبد الله الخياط
٣٦	كتاب القصة (الثاني)	محمد المنصور الشقحاء
٣٧	من حديث الكتب	محمد سعيد العامودي
٣٨	مقالات في الأدب (٢)	اعداد النادي
٣٩	دريد بن الصمة	مناحي ضاوي القثامي
٤٠	الوان من الأدب جـ (١)	شعبان جبر يل عبد العال
٤١	هتاف الحياة	عبد الله جبر
٤٢	كنز الأنساب ومجمع الآداب	حمد الحقيل
٤٣	القصاص	عبد الله سعيد جمعان
٤٤	معجزة القرآن الكريم البيانية (محاضرة)	د. حسن محمد باجوده

٤٥	الصمت والجدران	سباعي احمد عثمان
٤٦	حين ينزف الأفق	اصلاح سهيل
٤٧	كتاب الشعر (الأول)	علي حسن العبادى ، محمد منصور الشقحاء
٤٨	الطائر الغريب	حسين سرحان
٤٩	ملف نادي الطائف الأدبي (الثالث)	اعداد النادي
٥٠	كتاب القصة (الثالث)	محمد منصور الشقحاء
٥١	علم العروض	د. عبد الهادي الفضلي
٥٢	أحيحه بن الجلاح الأوسي	د. حسن باجوده
٥٣	المسحوق	محمد حمد الصويغ
٥٤	سوق الخميس	خليل ابراهيم الفزيع
٥٥	الموسوعة الأدبية جـ (٣)	عبد السلام طاهر الساسي
٥٦	ترانيم الصباح	عبد السلام هاشم حافظ
٥٧	في موكب الأبطال	علي حسين عويضه
٥٨	أغنية الشمس	ابراهيم الزيد
٥٩	دعونا نمشي	أحمد السباعي
٦٠	كلمات حب الى المدينة المنورة	عبد السلام هاشم حافظ
٦١	أبو الشمقمق	د. محمد سعد الشويعر
٦٢	تأملات في الفكر والمجتمع	عبد الله بوقرى
٦٣	الأحاجي والألغاز الأدبية ط ٢	عبد الحى كمال
٦٤	حنين	علي صالح الغامدي
٦٥	تذكرة عبور	عبد الله سعيد جمعان
٦٦	أزهار	علي حسين الفيفي
٦٧	جراح الليل	د. ابراهيم الزيد
٦٨	أوراق مطوية	أحمد السباعي
٦٩	شعراء الحجاز ط ٢	عبد السلام طاهر الساسي

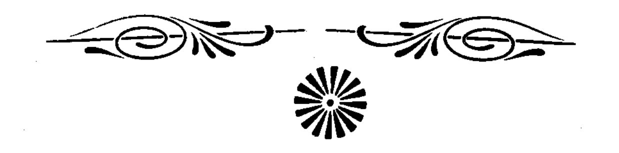
٧٠	ابن الطراوة النحوي	د. عياد عيد الثبيتي
٧١	لكل مثل قصة (٢)	مناحي ضاوي القثامي
٧٢	لا ليلك ليلي ولا أنت أنا	عبد العزيز الصقعبي
٧٣	تحفة اللطائف في فضائل ابن عباس ووج الطائف لابن فهد	ت : محمد الشقحاء ومحمد سعيد كمال
٧٤	المنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب	تحقيق د. ابراهيم الزيد
٧٥	الحب الكبير	حسن ناصر المجرشي
٧٦	رسائل الى نازك	سعد البواردي
٧٧	بهجة المهج للميورقي	تحقيق د. ابراهيم الزيد
٧٨	ملف نادي الطائف الأدبي (٤) (٥)	اعداد النادي
٧٩	**الزهور الصفراء**	محمد المنصور الشقحاء
٨٠	الفنون الصغرى	ابو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري
٨١	المبالغة في البلاغة العربية	عالى سرحان القرشي
٨٢	رحلة إلى الغرب	الشيخ احمد علي
٨٣	شعراء ثقيف في العصر الأموى	عيضه عبد الغفور السواط
٨٤	**ملف النادي السادس**	**لجنة الملف بالنادي**
٨٥	**زائـــر الأمـــس**	**علي حسين الفيفي**
٨٦	**نشر اللطائف في قطر الطائف**	**تحقيق : عثمان محمود حسين الصيني**



الفهـــــرس

الموضوع	الصفحة
مقدمــــة	٣
البـــاب الأول	
خلفياتٌ حداثية	٥
١ ـ حداثة أم تقليد	٦
٢ ـ بدر شاكر السّياب	١٠
٣ ـ تعـدّى الحـــدود	١٥
٤ ـ بين حجازى ودنقل	١٩
٥ ـ نماذج مشبوهة	٢٢
٦ ـ تخريب النقد	٢٧
٧ ـ حول البنيوية	٣٠
الباب الثاني	
عناصر الشخصية في أدبنا	٣٦
أولاً : النضوج الموسيقي	٣٧
ثانياً : اقترانه بالحكمة والأخلاق	٣٩
ثالثاً : المستوى الراقي للشكل	٤٤
رابعاً : تنوع الأغراض والموضوعات	٤٨
خامساً : الصدقُ العاطفي المَصوَّر	٥٣
الباب الثالث	
الشعر الذي نتطلع إليه	٥٦
١ ـ القادر على التأثير	٥٧

٢ ـ المتألق القالب	٦٣
٣ ـ الخفيف الظل والروح	٦٦
٤ ـ المجمَّل بالبديع العفوي	٧٥
٥ ـ ذو الطابع القصصي	٧٩
٦ ـ الموقد للحماسة	٨٤
٧ ـ المعالج لمشكلاتنا الاجتماعية	٩١
٨ ـ الناضج الموسيقي	٩٧
الخـــاتمة	١٠٢




المطبعة الأهلية للأوفست
الطائف